مجموعة نقشجم العلميَّة
إصدارة رقم «٨٥»

النفحات المكيَّة واللمحات الحقيَّة
في شرح أساس الطريقة الختميَّة

يليه

الأسرار المُترادفة شرح الأنوار المُتراكمة
«الشرح الصغير للراتب»

تأليف
الإمام السيد مُحمَّد عثمان الميرغني الختم

النفحات المكيّة واللمحات الحقيّة

في شرح أساس الطريقة الختميّة

يليه

الأسرار المُترادفة شرح الأنوار المُتراكمة

«الشرح الصغير للراتب»

تأليف

الإمام السيد مُحمّد عثمان الميرغني الختم

ربيع الثاني ١٤٤٧هـ - أكتوبر ٢٠٢٥م

يمكنكم مراسلتنا، عبر البريد الإلكتروني: ngshjm@yahoo.com

أو عبر صفحة مجموعة نقشجم العلمية، على الفيسبوك: facebook.com/ngshjm

تقديم

الحمدُ للَّه رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا ومولانا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين.

وبعدُ، فهذين كتابين للإمام السيد مُحمَّد عثمان الميرغني الختم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الأدعية والأذكار، أحدهما: سمَّاهُ «النفحات المكيَّة واللمحات الحقيَّة في شرح أساس الطريقة الختميَّة» أتى في بدايته بأسانيد الطريقة الختمية ثم شرَحَ منظومة للسند النقشبندي لأحد تلاميذه، ثم شرَحَ فيه أساس الطريقة الختمية الذي يحتوي على أذكار وأدعية من الكتاب والسُّنَّة وتسبيحات وصلوات نبويَّة، والذي يُتلى عقب الصلوات الخمسة. وثانيهما: «الأسرار المُترادفة شرح الأنوار المُتراكمة» وهو الشرح الصغير لراتب الطريقة الختميَّة المحتوي على أذكارها وأورادها، والذي يُتلى صباحًا ومساءً.

ولقد خدمتهما مجموعة نقشجم العلميَّة بتحقيقهما ومُقابلتهما مع مخطوطتين وطبعتين، وقد سبقت طباعتهما وضُمِّنتا مع طبعة مجموعة "النفحات الربانيَّة" الطبعة الثانية لشركة مصطفى البابي الحلبي بجمهورية مصر سنة ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م. وقد وُجِدت فروقات قليلة بين مخطوطتَيْ "النفحات المكيَّة" وطبعتها.

وكان منهج عملنا: نسخ الكتابين وتفريغ نصهما ومُقابلة "النفحات المكيَّة" على نُسَختَيْها الخطِّيتَيْن والطبعة، والآخر مع الطبعة فقط. وعزو الآيات القُرآنيَّة إلى سُوَرها وبيان أرقامها وضبطها بالشكل ووضعها بين قوسَيْن مُزهرَيْن ﴿ ﴾ على الرسم الإملائي. وتخريج نصوص الأحاديث النبويَّة بالشَّكْل وجعلها بين قوسَيْن « » وفق مصادرها من دواوين السُّنَّة بمُساعدة المكتبة الشاملة الرقميَّة. وترجمة السَّيِّد المُؤلِّف. وجعل أصل الكتابين بلون وخط مُختلفين. وضبط منظومة "الدُّر واللآلئ" بالشكل متنًا وشرحًا. وترصيع الفقرات بعلامات الترقيم المُناسبة والمُتَّبعة وتنسيقها.

"النفحات المكيَّة" : حصلنا على نسختين خطيَّتين لها: إحداها من مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية المحفوظة برقم الحفظ: م١١-١٧٢٧. عدد الأوراق: ٢٥ ورقة، عدد الأسطر للصفحة: ٢١سطرًا، بمقاس ١٧x٢٤سم. بخط نسخي، تاريخ نسخها ١٢٧٢هـ.

والثانية: نسخة الخزانة العامة بالملكة المغربية المحفوظة برقم الحفظ: ١٣٠٣ك ضمن مجموع كبير يقع في ٣٤ صفحة بين (٥٠٦-٥٣٩)، عدد الأسطر للصفحة: ٢١سطرًا، بخط نسخي، تاريخ نسخها شعبان ١٢٥٧هـ.

مجموعة نقشجم العلميَّة

الخميس ٩ ربيع الثاني ١٤٤٧هـ - ١ أكتوبر ٢٠٢٥م

صورة اللوحة الأولى والأخيرة لنسخة مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة – المملكة السعودية

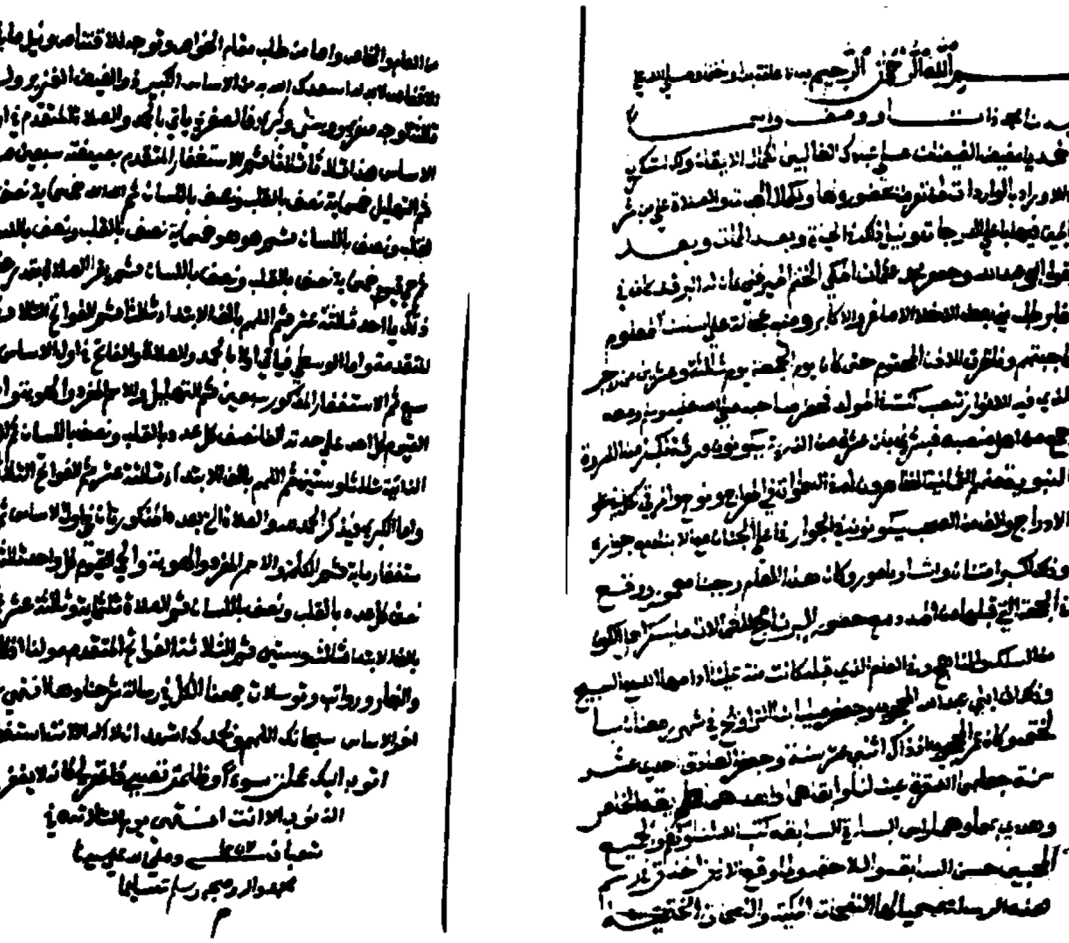

صورة اللوحة الأولى والأخيرة لنسخة الخزانة العامة بالملكة المغربية

ترجمة السَّيِّد المُؤلِّف

هو العالم العلاَّمة والبحر الفهّامة، الشَّرِيف العَفِيف والشهم المنيف، وبحر العلوم ومعدن الفهوم، وختم العارفين ومحيط الغارفين، العارف باللَّه تعالى والدالّ عليه، السَّيِّد مُحَمَّد عُثْمَان المِيرْغَني الختم بن السَّيِّد مُحَمَّد أبي بكر بن السَّيِّد عبد اللَّه الملقَّب بالمحجوب بن السَّيِّد إبراهيم بن السَّيِّد حسن بن السَّيِّد محمد أمين بن السَّيِّد علي ميرغنيّ. وينتهي نسبه إلى الإمام الحُسَين بن الإمام عَلِيّ بن أبي طالبٍ، والسَّيِّدة فاطمة الزهراء، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ جميعًا.

وُلِدَ رضي اللَّه عنه في قريةِ السَّلامَةِ بالطَّائف سنة ١٢٠٨هـ، توفيت والدته من سابع ولادته، فربّاه والدُه إلى أن جاوز عشر سنين ثم توفي والده، فتولاَّه عمه السَّيِّد مُحَمَّد ياسين، وكان من علماء بلد اللَّه الحرام آنذاك.

وانتقل به إلى مكة المكرمة، فحفظ القرآن الكريم في حداثته، ثم انتقل إلى مجالس العلم والدرس والمعرفة فحصل من ذلك القسط الوفير، وأخذ جل علوم الظاهر من عمه وله غيره مشائخ كثيرون ببلد الله الحرام، فاتقن علوم الظاهر من التوحيد والفقه والحديث والتفسير والمنطق والنحو والصرف والبيان وغير ذلك، فتمكّن من هذه العلوم وهو في الثالثة عشر من عمره. وبعد ذلك تصدّر للإفتاء والإقراء والتدريس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة وعمره لم يتجاوز الخامسة عشرة.

ثم تعلّق بطريق الصُّوفية وسلكه على عدد من أجلاء المشايخ منهم الشيخ أحمد بن محمد بناه المكي، والشيخ سعيد العامودي المكي، والشيخ أحمد بن عبد الكريم الأزبكي، والشيخ أحمد عبد الكريم الهندي، إلى أن جمعه اللَّه سبحانه بالسَّيِّد أحمد بن إدريس، فلازمه وانتفع به، وترقَّى على يديه وصار من أخصّ تلامذته. ثم أسسّ دعائم طريقته الختمية من خمس طرق هي: النقشبندية،

والقادرية، والشاذلية، والجنيدية، والميرغنية وهي طريقة جده السيد عبد الله الميرغني المحجوب.

ثم طاف أنحاء واسعة من الأرض داعيًا إلى الله تعالى، لاعتناق الإسلام وسلوك طريق ومنهج الإحسان، فأسلم على يديه الكثير من الخلق. واتبعه خلق كثير في مقدمتهم العلماء والفقهاء والصالحين والأعيان. كما نشر الإسلام في كثير من المناطق الوثنية.

ارتحل من مكة المكرمة ومنها إلى اليمن، ثم بحرًا إلى الصومال، ومنها إلى مصوع، والحبشة، وكانت حوالي ١٢٢٨هـ، ثم عاد إلى مكة. ثم ارتحل إلى صعيد مصر بصحبة شيخه السَّيِّد أحمد بن إدريس، ثم اتجه جنوبًا إلى السودان، عبر بلاد النوبة ثم الدَّبّة، إلى عمق كردفان إلى بارا والأبيض في ١٢٣١هـ. ثم قصد سِنَّار، ثم اتجه شمالاً إلى شندي ثم المتمة ثم الدامر سنة ١٢٣٥ه، ثم اتجه شرقًا إلى كسلا، ثم رجع إلى مكَّة. ثم عاد مرة أخرى عن طريق أريتريا، واستقر بكسلا ومكث بها فترة، ثم رجع إلى البلد الحرام، ليعود للمرة الأخيرة للسودان واستقر فيها بسواكن، ثم رجع إلى بلده بلد الله الحرام.

ومن جُملة تلاميذه وخلفائه: بمكة المكرمة: الشيخ أحمد القطان، والشيخ عمر فدعك. وبالمدينة المنورة: السيد أسعد، والسيد أحمد بن السيد وكان وزيرًا لدي السلطان العثماني. وبمصر: الشيخ أحمد أبو حريبة، وشيخ الإسلام الشيخ إبراهيم الباجوري، وشيخ الإسلام الشيخ حسن القويسني، والخليفة خليفة ولد الحاج والخليفة أحمد ولد سعد. وبالحبشة: الخليفة محمد ولد طه، والشيخ بشري في بلاد الرحمنو، والخليفة محمد ولد ريحان، والخليفة النائب. وبشرق السودان: الحبيب يعقوب الحلنقي، والخليفة محمد الصافي، والخليفة محمد الصفوة، والخليفة محمد كيلاني، والخليفة مدني قرجن، والخليفة التاي، والخليفة الصادق. وبوسط السودان: الخليفة الحاج ود البشير الترابي، والشيخ

أحمد ود عيسى، والخليفة أحمد الشمباتي، والخليفة أحمد ود العَمَّاس. وبنهر النيل: الشيخ أحمد الريح السنهوري، والشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين، والخليفة محمد النصيح، والشيخ حمد الصادق المجذوب، والخليفة الجزولي بن عبد الوهاب، والخليفة على ود الجزولي، والخليفة أحمد ود الطريفي. وبالشمالية: الخليفة محمد بن مالك، والخليفة النقيب، والخليفة محمد خير بن محمد صالح العراقي، والخليفة إدريس المحسي. وبكردفان: الشيخ إسماعيل الولي، الخليفة صالح سوار الدهب، والخليفة القاضي عربي الهواري، والخليفة حماد البيتي.

من مُؤلفاته: له العديد من التصانيف والمؤلفات في شتى العلوم والمعارف: ففي التفسير: تاج التفاسير لكلام الملك الكبير. وفي الحديث: الأربعون حديثا، وختام الأمالي في الأحاديث المعالي. وفي الفقه: رحمة الأحد في إقتفاء أثر الرسول الصمد. وفي اللغة: غنية الصوفية في علم العربية، والفوائد البهية في حل الآجرومية، وشرح ألفية ابن مالك، وشرح ألفية السيوطي في علم البيان. وفي التصوف: الخزانة القدسية في الحقائق اللدنية. وفي رسائل السلوك والإرشاد: التحذير من الدنيا الغرارة، والحضور في الصلاة للسعداء من أهل حضرة اللَّه، والزهور الفائقة في حقوق الطريقة الصادقة، والسر الإلهي الحائط في حرمة أهل الوسائط، وقصيدة السر الظاهر والنور الباهر في بعض أحوال الأكابر، والفتح المبروك في كثير من آداب السلوك، والهبات المقتبسة والعطايا الدقيقة في أسرار الطريقة، والوصية الحاوية للدرر المهداة للسالكين في بعض تهاذيب الواصلين، وتنبيه المحسنين في مراقبة صلاة المريدين، ولوامع الأنوار البهية في كيفية خلوة الطريقه الختمية، ومنوال الطريقة الطاهرة النورانية. وفي الأدعية والأذكار والأوراد: أساس الطريقة الختمية وشرحه النفحات المكية، وراتبه الأنوار المتراكمة من الحضرة الوهبية، وشرحيْه فيوض البحور المتلاطمة والأسرار

المترادفة من الدواوين الإلهية، والأنوار المنبهلة في الأوراد المستعملة، وتوسله حبل الوصال إلى حضرة ذي الجلال، وتوسل إكسير قضاء الحاجات، وشرحه المعاني اللطيفات، وتوسل النور الأعظم نظم أسماء النبي المكرم، واستغفار جليل، نفثة الحي القيوم البر لمناجاة السحر، وأدعية وأحزاب وأذكار أخرى. وفي السيرة: مولده الأسرار الربانية في مولد خير البرية، ومصباح الأسرار شرح مشكاة الأنوار لجده المحجوب. وفي الحكم: الفيوضات الإلهية المتضمنة للأسرار الحكمية، وشرحها الإمدادات السنية. وفي الصلوات النبوية: فتح الرسول ومفتاح بابه للدخول لمن أراد إليه الوصول، والجواهر المستظهرة من الكنوز العلية، والشهود المحمدي، باب الفيض والمدد من حضرة الرسول السند، وجواهر السطح في الصلاة بسورة الفتح، وفاتح الوجودات، ونور الإله في الصلاة بتعريف المصطفى نفسه ومولاه، ونور الأنوار في الصلاة على النبي المختار، والمشارب اللدنية على الصلاة الميرغنية. وفي العقيدة: منجية العبيد من هول يوم الوعد والوعيد. وفي مصلح الحديث: منح المغيث المغني في حل البيقوني. وفي دواوين المديح النبوي: الغرائب المفرقات من لطائف الخرافات الذاهبات، والكوثر المحمود في كثير من أوصاف المحمود، والنفحات المدنية في المدائح المصطفوية، والنور البراق في مدح النبي المصداق، والياقوت السمح في القصائد التي قبل الفتح، وشم الوردة في تخميس البردة، ومجالي تجلي الفرقان في أرواح وأسرار علوم القرآن، المباسطات البهية، وديوان معشر على حروف المعجم. وفي الوعظ: الوعظ الثمين في تعمير أعصار رمضان الثلاثين.

انتقل رضي الله عنه إلى جوار مولاه الكريم في شوال سنة ١٢٦٨هـ، حيث دفن بحوطة السادة المراغنة بمقبرة المعلا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

به الإعانة بدءًا وختمًا

وصلَّى اللَّه على سيدنا مُحمَّد ذاتًا ووصفًا واسما

لك الحمد يا مفيض الفيضان، على عبادك الطالبين لكمال الإيقان، ولك الشكر يا مُمِدًّا في الأوراد بالواردات، لمَنْ تعرَّض بحضوره لها ولكمال الهبات، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَنْ بَشَّر القائمين فيها بأعلى الدرجات، ونيل ذلك في الحياة وبعد الممات.

وبعدُ، يقول أبو عبد اللَّه وجعفر، مُحمَّد عثمان المكِيّ الختم الميرغنِيّ كان له البَرّ: قد كان في الغابر، طلب مني بعض الإخوان الأصاغر والأكابر، وَضْع عُجَالة على "أساسنا" المعلوم، فأجبتهم ونظرتُ الإذن المحتوم، حتى كان يوم الجمعة يوم ثلاثة وعشرين من رجب، الذي فيه الأنوار تنصبّ، كنتُ في قراءة المولد فحضر صاحبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه جمعٌ من أهل منصبه، فبشرَّني أن عشرة من الذُّرِيَّة، يكونون ورثة الكبار من الذروة النبويَّة، منهم الثمانية الظاهرون له في السماوات في المعراج، ونوح والمرقّي لكُلٍّ في علوِّ الأدراج، وألف من الصحب يكونون في الجوار، في أعلى الجنان مع الأبناء، مع جواره وذلك أكبر امتنان، وأشار بأمورٍ، وكان هذا العام رجبنا معمور.

ووقع في الجُمُعة التي قبلها من المدد مع حضور البرنامج، للكمالات ما أسكر أهل الكون من السلك والمناهج، وفي العام الذي قبله كانت مِنَّة عظيمة علينا أدامها اللَّه مع التسبيح، وذلك أن ابنَيّ عبد اللَّه المحجوب وجعفرًا الصادق صلَّيَا بنا التراويح في شهر رمضان بالختمة، وكان عُمْر المحجوب إذ ذاك اثنتي عشرة سنة وجعفر الصادق إحدى عشرة سنة، جعلهما اللَّه قُرَّة عين لنا وأبقاهما وهداهما طريقه الخاصّ وهدى بهما، وهما رأس البشارة السابقة، كتب اللَّه لنا ولهم ولجميع المُحبِّين والمسلمين حسن السابقة واللاحقة.

ولمَّا وقع الإذن أخذتُ في رسم هذه الرسالة مُسمِّيًا لها:

((النفحات المكيَّة واللمحات الحقيَّة

في شرح أساس الطريقة الختميَّة))

نفعَ اللَّهُ به كما نفَعَ بأصله، وجعلنا من أهل وصله.

اعلموا معاشر الإخوان السالكين سبيل الرحمن، أنه لما هبَّت نفحات العناية، بهذا العبد كثير الجناية، من الصغر قبل البلوغ والتكليف، علَّق اللَّه الهِمَّة بطريق أهل الولاية والتصريف، وذلك مع تحصيل بعض علوم الرسوم، حتى لا يكون في الفؤاد حسرة على ما هو لأهله مقسوم.

فكان أوَّلُ دالٍّ لي على هذا الطَّرِيق الشَّرِيف، الشَّيْخ أحمد بناه المكِيّ رَحِمَهُ اللَّطِيف، وكان مستُورًا فأخذتُ عنه الطريقة النقشبنديَّة، وظهرت لي بعض أسرارها العليَّة، فحصلت لي رؤية النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض عشر ليال منامًا.

ثم اجتمعتُ بالعارف باللَّه العابد سيدي الشيخ سعيد العامُودِيّ، العاكف على الصَّلاة على النَّبِيّ المختار ولاسيما بـ"دلائل الخيرات"، وكان يقرؤها كل يوم مرارًا، وكانت عليه الأنوار تلوح، والأسرار منه تفوح، فأخذتُ عنه الطريقة النقشبندية أيضًا، واستكملت على يده أنوار وظائفها البهية، وتنوَّرت بصيرتي، وكانت تعتريني بعض الأحوال، غير أنها ليست بذات اتصال.

ورأيتُ مرَّة وأنا أراقب كأنه خرج مني نور ملأ الأفق، فذكرتُ ذلك له فقال لي: إن شاء اللَّه مددك يعمّ ويرقى، وكثر اجتماعي بالمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أكثر الأوقات، وذلك منامًا ليلاً ونهارًا مع مُبشَّرات.

ثم أخذتُ عنه الطريقة الشاذلية والقادرية، و"الدلائل" و"الدور الأعلى" لابن العربي ذي المعارف العلية، وحزب الشاذلي الكبير حزب البر، وغير ذلك مما مَنَّ به البَرّ.

ثم إني رأيتُ ليلة كأني خارج من بيتٍ كان لنا بباب إبراهيم، وكأني طالب الكعبة المُعظَّمة، ورأيتُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راجعًا منها، مُقابلاً لباب إبراهيم ذي الأسرار المُفخَّمة، فتلقيته في نصف ممشى الباب المذكور، وفي صبح تلك الليلة واجهتُ في نصف الممشى المذكور رجلاً على الصورة التي رأيتُ فيها المُصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلتُ: إن ذلك الرجل من أهل الاصطفا، فسلَّمتُ عليه وتعرَّفتُ به، فإذا هو من خُلاصة أولياء ربه، وعرف أمري فطلبتُ منه أورادًا وأذكارًا، فأذن لي في طريقته وهي النقشبندية ذات الأسرار.

وصرتُ اجتمع به في بعض الأوقات، ويحصل لي منه بعض إمدادات، فجئت إليه ليلة فوجدته جالسًا أمام مقام الحنفِيّ عند أسطوانة من الأسطوانات الصغار، وباح بسرٍّ خفيّ، فتناول دورقًا فيه ماء زمزم فشرب منه، وناولنيه فارتويتُ منه، فرأيتُ في ذلك الحين الأرض وما فيها، وكشف لي عن الناس وبعض الموتى وما تحويها، وامتدَّ معي ذلك الكشف إلى صلاة الصبح، وعُدتُ إلى الحجاب فأخبرته به وبالفتح.

ثم صرتُ أتردَّدُ عليه في تلك الأيام، فقال لي: إن تتميم أمرك على يد السيد أحمد ابن إدريس الإمام، وكان ذلك ابتداء اجتماعي في تلك الأيام بأستاذنا ذي التقديس، مولانا العارف باللَّه السيد أحمد بن إدريس، وصار لي على يده ما فتح اللَّه به، كما سيأتي عن قريب، إن شاء اللَّه تعالى المَلِك المُجِيب.

ثم توَّجه إلى الهند بعد ذلك هذا السيد المذكور، واسمه أحمد بن عبد الكريم الأُزْبَكِيّ، عليه لواء الولاية منشور.

ثم رجع بعض مضي بعض سنين إلى مكة المُشرَّفة، في العام الذي فتح اللَّه علَيَّ فيه بأسرار المعرفة، فكنتُ إذ ذاك مُقتصرًا في البيت لا أخرج إلا للجُمعة، فيسأل عني فيُخبر بأحوالي والسطعة، فأتى إلَيَّ فرأى حالي وما لدَيَّ، ففرح به وبما فتح اللَّه به علَيَّ، وكان هو ممن انتهى في ترقيه إلى كشف السماء الثانية، فأخبرته بحاله، فوافق وهو عين أحواله العالية.

واجتمعتُ بالعارف باللَّه الولي العالِم العامل مُفتِي زَبِيد الأَهْدَلِيّ، سيدي ومولاي السيد عبد الرحمن بن سليمان، وأخذتُ منه بعض الأوراد بفضل المنَّان، وقال لي: أنت وقفت على الطريقة الميرغنية، طريقة جدك السيد عبد اللَّه البهية، وهي جلاء البصيرة بكثرة رؤية سيد الوجود، وحالك كالسراج الخالص لا يحتاج إلى الوقود، ودلَّنِي

على مُرشدي سيدي السيد أحمد بن إدريس، وقال لي: إنه يحصل لك منه مددٌ نفيس.

وكان هذا السيد يعتني بي ويحبني كثيرًا، ويقول لوالدي ما معناه: إنه يجئ منه خيرٌ غزيرٌ، وجمع بيني وبين أستاذي المذكور، وصحبته وفتح اللَّه لي على يده غَمَرَ اللَّهُ ضريحه بالنور، وسيأتي ذلك مبسوطًا إن شاء اللَّه عند ذكر اسمه في السند، ومن اللَّه أطلب لي ولجميع أحبابي وأولادي وإخواني كمال المدد، فأقُولُ:

اعلم أن طريقتنا هذه مُجتمعة من خمسة أحرف رمزها «نقش جم»، تنقش في الفؤاد التصوُّف جمّ، فالنون: نقشبنديَّة، والقاف: قادريَّة، والشين: شاذليَّة، والجيم: جُنَيْديَّة، والميم: ميرغنية، وهي محتوية على أسرار هذه الخمسة الطرق وبعض أورادها، لكن الأكثر هو من النقشبنديَّة وأمدادها، ولهذا اعتمدنا في إجازاتنا على ذكر أسانيدها، ومع ذلك فلنا في جميع تراتيبنا إذن من الحضرتَيْن، وتلَقٍّ من الوجهتَيْن، ومن أكابر أهل كُلّ طريق أخذنا باطنًا وظاهرًا أمره، واستمدينا من أقطابها سرّه وجهره، وجعلنا المجموع مُسَمَّاة بـ«الطريقة الختميَّة»، لأن مشربها من مقامنا الخاصّ ذي الأسرار المحمية.

وها نحنُ نذكرُ سند السَّادة النقشبنديَّة، لأن أساسنا أكثره على مناويلها البهية، لأن نصف أذكارها بالقلب والنصف باللسان، وكان الأمر في بعض الأحيان على هذا البيان، كما سيأتي في ترجمة سيدي بهاء الدين النقشبندِيّ، ثم من بعده صار أغلب السلوك على الأذكار القلبيَّة، فنحنُ أحبَّبنا إحياء النهجَيْن مع جمع بركات الطريقتَيْن السُّنِيَّتَيْن، اللَّتَيْن هما القادرية والشاذليَّة، فإن أذكارهما باللسان، والعمل في كلِّ ذلك على حضور الجَنَان، فأقولُ:

أوَّلاً أخذنا الطريقة النقشبنديَّة عن سيدي أحمد بن محمد بناه الصائغ، وكان مستور الحال من أهل مكة، وكانت بصيرته مجليَّة، وله بعض رؤيا نبويَّة وأسرار عليَّة.

ثم أخذناها عن العارف باللَّه سيدي الشيخ سعيد العامُودِيّ المكِيّ ساكن أبي قُبَيْس، ولهم به زاوية باسم جدِّهم لها على التقوى تأسيس، وكنتُ أتردَّدُ إليه كل يوم صباحًا ومساءً، لحضور المراقبة عنده وحصل لي بذلك ارتقاء، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصوم الدهر كصيام سَيِّدنا داود، وربما والَى الصوم كريمُ الفروع والجدود.

وكُلٌّ من الشيخ أحمد بناه والشيخ سعيد المذكور أخَذَ الطريقة النقشبندِيَّة عن الشيخ العارف باللَّه مَنْ هو في السِّرِّ مغمور، ولي اللَّه سيدي الشيخ عبد القادر الهندي، وكان له في الولاية قدمٌ به إلى اللَّه

يهدي.

وذكرَ لي الشيخ أحمد بناه: أن هذا الوليّ كان إذا خلت يده من الدنيا يأتي إليه ويأمره بإلقاء بقطعة رصاص من وسخ الدنيا، فيجعلها في بوطة، ويحمي عليها فيها، وكان الشيخ أحمد صائغًا، قال: فيخرج الشيخ عبد القادر من رأسه قرطاسًا فيه شيء أبيض، فيضعه على ذلك الرصاص بعد ذوبانه، فيصبّهُ فتخرج سبيكة من ذهب، فيتصرَّف بها، وكان يفعل ذلك مرارًا.

وأخذنا الطريقة النقشبنديَّة أيضًا عن شيخنا العارف باللَّه سيدي أحمد بن إدريس، وكان وُلِد بالمغرب في أواخر القرن الثاني عشر، بقرية يقال لها القارة من أعمال فاس، وهو شريفٌ إدريسِيّ، أخذ العلم بفاس، وكان له مهارة في علوم الظاهر، أخذه عن جملة علماء منهم: سيدي العارف باللَّه الجامع بين الشريعة والحقيقة سيدي محمد المجيدرِيّ، وأخذ عنه الطريقة الشاذليَّة والحزب السَّيْفِي، وأخذ المجيدرِيّ عن قُطب الجان سيدي محمد الغفوي، وهو عن سيدي عليّ بن أبي طالب كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وأخذ الحقير الحزب المذكور عن سيدي أحمد عن الغفوي عن سيدنا عليّ.

وأخذتُ عن السيد أحمد أيضًا الطريقة الشاذليَّة، ثم أخذ سيدي أحمد الطريقة الشاذليَّة عن شيخ إرشاده وتربيته سيدي عبد الوهَّاب التَّازِيّ، وكان هو غوث وقته، صحبه سيدي أحمد أربع سنوات ففتح الله عليه وألحقه بمن عنده.

وكان عام فتح سيدي السيد أحمد عام ولادتي، بل كان يوم فتحه يوم ولادتي، وما تُوفِّي سيدي عبد الوهَّاب التَّازِيّ إلا وقد صار سيدي أحمد من أهل الأحوال العظيمة، لأنه ذكر لي: أنه شاهَدَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظةً يوم وفاة سيدي عبد الوهَّاب، ثم قال لي: نظرتُ إلى أكبر مَن كان من الأولياء في المغرب فكان سيدي أبا القاسم الوزير، وكان من الأفراد وكان يقول: لا أحسّ بحركة الكون من عرشه إلى فرشه إلا كحركة البعوضة. وذلك لغيبته في الله، وكانت صحبة سيدي أحمد له أربع سنوات.

قال: كنت أتردَّدُ عليه كل يوم صباحًا ومساءً، في المُدّة المذكورة أجلسُ عند باب داره، فإن خرج إلينا يخبرنا بما لاح في ضميرنا، أو دخل إنسان إليه فيخبره بذلك ونحن في مكاننا، أو خرج أحد من عنده فرآنا فعاد فيخبره، فيخرج إلينا ويتكلم معنا في بعض أسرار القوم ومقاماتهم، وإن لم يخرج إلينا عدنا إلى مكاننا، ويقول: المعاملة مع الله، فانظر إلى حسن هذه الآداب وحال القوم مع

مشايخهم.

قال سَيِّدِي أحمد: وكان في يوم من أيام اجتماعي بالشيخ المذكور، أن قال لي: يا أحمد كان لي صاحب من الأبدال من السودان فجاءني ليلة بالخطوة، وقال لي: اخرج معي خارج البلد، فخرجتُ معه فقال: اجلس هاهنا، وذهب وغاب عني إلى آخر الليل، وجاء وقال لي: يا فلان إنه سيظهر هنا رجلٌ اسمه أحمد بن إدريس قريبًا، طالب علم، وأنا أُلقي إليك علومًا فأخبره بها إذا جاءك.

قال سيدي أحمد: لما أخبرني بذلك قلتُ له: هل تأذن لي أن أخبركم بذلك قبل أن تكلمني؟، قال: أذنت لك، قال سيدي أحمد: فقلت له كذا وكذا إلى آخر تلك الأسرار، فقال لي: هِيهْ! ما تركت منها شيئًا.

ثم توجَّه سيدي أحمد إلى الحجاز وجاوَر بمكة مُدَّة سنوات، من عام إحدى عشر إلى عام ثمانية وعشرين من القرن الثالث عشر، وفي هذه المُدّة صحبته وفتح الله علَيَّ.

ثم توجَّه إلى الصعيد من إقليم مصر، وأقام به نحو ست سنوات أو سبع، بقرية يُقال لها الزينية، ثم عاد إلى مكة وأقام بها إلى عام ثلاث وأربعين.

ثم توجَّه إلى اليمن وأقام به عشر سنوات، وتُوفّي بقرية يُقال لها صَبْيَا عام ثلاث وخمسين، ليلة السبت الثاني والعشرين من شهر رجب، وتولَّى الغوثية وفي رأسها مات، وكان أوحد وقته علمًا وحالاً، لم أرَ في وقتي مثله مع أني رأيتُ جملة أغواث أقطاب، منهم: سيدي عبد اللَّه القندقلي، وسيدي أحمد أبو الربيع، وسيدي محمد جامع، وآخر، وسيدي عبد اللَّه المتولي الآن، فما رأيتُ في هؤلاء مثله أحدًا، في المعرفة ولا في سعة الحال وصون الوقت وعلوّ الهمة، ولا في غيرهم من كبار الأفراد الذين رأيتهم.

ولقد رأيته في أواخر مُدّة إقامته بمكة يومًا وهو جالس بجانب باب الباسطية من المسجد الحرام، ونظرتُ في عظم حاله والأنوار التي كانت عليه، فكنتُ أرى أنه يخرج من لحيته الكريمة نورٌ لو سرَى نور شعرة منها في الدنيا، لصار كل أهلها أولياء، غير أن في آخر المُدَّة كثر عليه اجتماع السفهاء ومَنْ لا خلاق لهم، فمنعهم مدده.

وخرج إليه جماعةٌ من السودان منهم من كان من أصحابنا، فسُلِبُوا وصاروا خاليين من أحوال طريق أهل اللَّه، ويتظاهرون للناس بأنهم من أتباعه وهو في الحقيقة بريءٌ منهم، ثم اجتمعوا على بعض مَنْ قد اجتمع بالأُستاذ وحصَّلَ بعض مددٍ ضعيف، فخالطوه وخلطوا

وخربطوا، والرجل المذكور له معرفة بعلم الأسماء والاستخدامات الروحانية والجان، هذا أظنّهُ جُلّ رأس ماله، وجُلّ ما وجدَ من سيدي أحمد بعض أسرار هذه الأشياء، فصارت همتهم كلها في ذلك، وتلَّبسُوا بالطريق ولم يشمُّوا رائحتها الحقيَّة. حفظني اللَّه وأولادي وإخواني وأحبابي ومُحِبيّ من ذلك بجاه مصطفاه، وثبَّتنا على الطريق المستقيم حتى نلقاه.

ثم المِنَّةُ للَّه ورسوله آلَتْ جُلّ وراثة الأُستاذ سيدي السيد أحمد ابن إدريس عندي، وكنتُ أفهم منه ذلك لأنه كان يقول: أيام فتحي أيام ولادتك، وأول ما فتح اللَّه عليّ رأيتك، وقيل لي: أَنَّ هذا خليفتك ووارثك، ونحو ذلك، فالحمدُ للَّه وأرجُو أن اللَّه يعطي بعض ذريته بعض الأحوال على يدنا، وهذا بحسب ما كنتُ أفهمه منه.

وأخذ هو الطريقة النقشبندية عن شيخ إرشاده المذكور، وله بعض أذكار أخذها شيخه عن سيدي الغوث سيدي عبد العزيز الدبَّاغ، وهو أخذ سلوكه عن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسند الطريقة النقشبندية الذي عن سيدي عبد الوهّاب التَّازِيّ غير سنده عن الدبَّاغ.

وأخذتُ بعض هذه الطرق عن سيدي وشيخي العالِم العامل العارف عمِّي وصنو أبي السَّيِّد مُحمَّد يس، وهو عن والده الجدّ العارف السَّيِّد عبد اللَّه الميرغنِيّ المحجوب، وكان هذا الرجل

صاحب قدم في الولاية، إلا أنه كان مُخْتَفٍ.

قال: فقدتُ مِقْلَمَة لي كانت في جيبي وكنتُ بالمدينة، وصار لي أمرٌ مُزعجٌ ألجأني للرجوع لمكة، فوقفتُ تجاه المواجهة وأنا مُتحيِّر في الأمر، وهو أن أمانات كانت في بيتي لبعض الأهل والأحباب، وبلغني أن مَنْ تركته في بيتي جاء إلى المدينة وترك المحل بلا أقفال ولا أبواب مُحكمة، فحين وقوفي في المواجهة وجدتُ تلك السكين التي تركتها في مكة في جيبي، فقلتُ: إن ذلك تطمين من النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وله نحو ذلك بعض كرامات.

وأخذتُ الصَّلاة المشيشيَّة ونحوها عن سيدي الوالد الولي السَّيِّد مُحمَّد أبي بكر، وكان من الأولياء المستورين، فذكر لي صادق أفندي بأسيوط وكان من أهل مكة، وله تلقٍّ عن الوالد، قال: كُنَّا بجبل السكارى بالطائف فجاء أخوك السَّيِّد عبد اللَّه فقال: جاء مُفتِي الظاهر، ثم جئت أنت فقال: جاء مُفتِي الباطن. وأخبرني بهذه الواقعة قبل أن يتولَّى أخي المذكور الإفتاء بسنوات. ورأيتُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاة والدي في ليالي انتقاله، فقلتُ: يا رسول اللَّه أين والدي؟، فقال لي: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[القمر: ٥٥].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

منظُومَةُ «الدُّرّ واللآلئ في عدَّة رجَال سند شيْخنا ذي الكمالِ»

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ جَعَلَا ... إِسْنَادَنَا إِلَى النَّبِيِّ مُتَّصِلَا

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْكَافِي ... عَلَى نَبِيٍّ بِالْعُهُودِ وَافِي

مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ والآلِ ... وَمَنْ رَقَّيْتُهُ إِلَى الْكَمَالِ

وَبَعْدُ فَالْإِسْنَادُ يَا ذَا الْفِطِنَةْ ... أَتَى بِهِ الْإِخْبَارُ عَنْهُ سُنَّةْ

ثُمَّ شُيُوخُنَا آبَاءُ الدِّينِ ... وَوَصْلَةٌ إِلَى الْقَوِي الْمَتِينِ

وَنَسْأَلُ اللَّهَ الرِّضَا عَنَّا بِهِمْ ... وَبِهِمْ رِضَاكَ يَا رَبِّ أَلِمّْ

أَرْوِي إِجَازَةً إِلَى الطَّرِيقَةِ السُّنِيَّةْ ... عَنْ شَيْخِنَا عُثْمَانَ ذِي الْخَتْمِيَّةْ

عَنْ شَيْخِهِ صَاحِبِ مَقَامِكَ النَّفِيسِ ... أُسْتَاذِنَا أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسْ

وَوَالِدِهِ مُحَمَّدْ أَبِي بَكْرْ ... وَشَيْخِهِ أَحْمَد بَنَّاهْ الْمُشْتَهَرْ

وَشَيْخِهِ سَعِيدِ الْعَامُودِيِّ ... عَنْ عَبْدِكَ الْقَادِرِيِّ كُلّ مَسْنُودِي

عَنِ الْإِمَامِ أَيْ: رَفِيعِ الدِّينِ ... عَنْ خُوجِ رَحْمَةِ الْقَوِي الْمَتِينِ

فَهْوَ نَائِبُ رَسُولِ اللَّهِ ... صَلَّى عَلَيْهِ ذُو الْعُلَى الْإِلَهِ

أَيْ: ابْنِ خُوجْ عَالِمْ نَقْشَبَنْدِي ... الْقَادِرِيِّ قَدَّسَهُ ذُو الْجُنْدِي

عَنْ سَيِّدِ الْأَشْرَفِ أَعْنِي الْمَكِّي ... شَيْخ طَاهِر مُحَمَّد مَحْكِي

عَنْ سَيِّدِي مُحَمَّد شَاهْ ... عَنْ شَرَفِ الدِّينِ يَاهْ

عَنْ آدَمَ بَنُّورٍ ثُمَّ الْمَدَنِيّ ... عَنْ شَيْخِهِ مُجَدِّدِ الْأَلْفِ الثَّانِي

وَهْوَ شَيْخُهُ أَحْمَد سَرْهِنْدِيّ ... عَنِ الشَّيْخِ خُوج الدَّهْلَوِي الْجُنْدِي

عَنْ خُوج مُحَمَّد إِمْكَنْكِي ... عَنْ سَيِّدِي دَرْوِيش خُوج الأَمْلَكِي

عَنْ سَيِّدِي خُوج مُحَمَّد زَاهِدْ ... عَنْ شَيْخِهِ خُوج عَبْدِ اللَّهِ الْعَابِدْ

عَنْ سَيِّدِي الْجَرْخِي أَيْ: يَعْقُوبْ ... عَنْ خُوج قُطْب خُوج الْمَطْلُوبْ

النَّقْشَبَنْدِي أَيْ: بَهَاءِ الدِّينِ ... قُدِّسْ مِنْ رَبٍّ عَلِيّ مَتِينِ

عَنْ سَيِّدِي كُلَالِ الْأَمِيرِ ... عَنْ خُوج أَيْ: مُحَمَّد الْبَصِيرِ

بَابَا سَمَاسِي أَيْ: بَهَاءِ الدِّينِ ... عَنْ سَيِّدِي خُوج عَلِيّ رَامِتَنِي

عَنْ خُوج مَحْمُود الأَنْجِير الْفَغْنَوِيّ ... عَنْ رِيُوكِرِي مُحَمَّد عَبْدِ الْقَوِي

عَنْ عَبْدِ الْخَالِقِ مَدْعُو غُجْدُوَانِي ... عَنْ يُوسُف الْمَوْصُوفَ بِالْهَمْدَانِي

عَنْ سَيِّدِيّ أَبِي عَلِيٍّ الفَارْمَدِي ... وَأَبِي الْحَسَنِ أَعْنِي بِهِ الْخَرْقَانِي

عَنْ سَيِّدِيّ طَيْفُورِ ذِي الْمَقَامِ ... أَيْ: ابْنِ عِيسَى الْمَعْرُوفِ بِالْبَسْطَامِي

عَنِ الْإِمَامِ جَعْفَرَ الْأَجَلّ ... عَنْ سَيِّدِي قَاسِمِ شَيْخِ الثِّقَاتِ الْمَجْلِيّ

عَنْ سَيِّدِي سَلْمَان أَعْنِي الْفَارِسِي ... الْمَاهِرِ النَّبِيهِ وَالْمُمَارِسِ

عَنِ الْإِمَامِ أَيْ: أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ... أَعْنِي بِهِ أَبَا بِكْرٍ الْأَمِينَ

وَفَضْلُهُ سَمَا عَلَى الْأَصْحَابِ ... بِلَا امْتِرَاءٍ وَبِلَا اِرْتِيَابِ

عَنْ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ... مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ رَسُولِكَ الْأَمِينَ

صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا الْمُتَعَالِي ... مَا مَاجَتِ الْأَغْصَانُ عَلَى التَّوَالِي

وَمِنْ طَرِيقَةِ الصَّحْبِ السَّنِيَّةْ ... بَعْض جُدُود شَيْخِنَا مَرْوِيَّةْ

وَذَاكَ أَنَّ جَعْفَرَ الصَّادِقَ قَدْ ... صَحِبَ أَبَاهُ الْبَاقِرَ مُحَمَّدْ

وَهْوَ لِزَيْنِ الْعَابِدِينَ أَبِيهِ ... صَحِبْ وَذَا عَنِ الْحُسَيْنِ يَرْوِيهِ

ثُمَّ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ الْمُجْتَلِّي ... بِصُحْبَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ يُنْبِئُ عَنْ عَلِيِّ

وَهْوَ عَنِ النَّبِيِّ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ ... وَهْوَ عَنْ جِبْرِيلَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ ذَا الإِفْضَالِ ... عَلَى تَمَامِ الدُّرِّ وَاللَّآلِي

بِشَهْرِ شَعْبَانِ نَظْمِي انْقَضَى ... بَعْدَ لُبِّ غُرٍّ مِنْ عَامٍ مَضَى

جَزَانِي اللَّهُ صَفْحَ الْمَاهِرِينَ ... أَهَّلِ التُّقَى وَالصَّفْحِ لِلْمُتَطَفِّلِينَ

وَاللَّهَ يَجْعَلُنَا بِذِي الْأَئِمَّةْ ... مِمَّنْ رَقَى أَعَلَى مَقَامِ جَمَّةْ

ولمَّا انتهى الكلام على ذكر بعض مشايخي الذين تلقَّيتُ منهم وانتفعتُ بهم في طريقة أهل اللَّه، أردتُ الكلام على السند الذي أغلب إجازاتنا به، وهو سند الطريقة النقشبنديَّة، وقد نظمه مُحبّنا العالِم الصَّالح البركة الشيخ سالم المعروف بالعالِم من إقليم كُردفان، من قرية يقال لها فيفجع، فأحببتُ شرح تلك المنظومة، لأني أجعلها مع الإجازة للذي يُحب ذكر السند فيها فيكتبها، وقد سمَّاها «الدُّرّ واللآلئ في عدة رجال سند شيخنا ذي الكمال».

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) بدأ بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز وعملاً بقول سيد ذوي الألباب (الحَمْدُ) هو الثناء بالجميل (لِلَّه) سبحانه وتعالى الجليل (الَّذِي قَدْ جَعَلَا) من كمال مِنَّتِهِ (إِسْنَادَنَا) رجاله وعمله (إِلَى النَّبِيّ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مُتَّصِلَا) قال ابن حنبل: لولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما شاء

(ثُمَّ الصَّلَاةُ) التامَّة والرحمة من اللَّه المترادفة (وَالسَّلَامُ الكَافِي) والإكرام الوافي (عَلَى نَبِيٍّ) هو سيد الوجود صفيه هو سَيِّدُنا مُحمَّد المحمود (بِالعُهُودِ) لمَن عهد له تبشيرًا ومددًا ظاهرًا وباطنًا، (وَافِي) من أوفى وبالمواصلة للعارفين شافي، (مُحَمَّد) أَيْ: ابن عبد اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (وَصَحْبِهِ) أَيْ: صحابته وهو: مَنْ اجتمع به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (وَالآلِ) أَيْ: الأتباع إلى يوم القيامة من أُمَّة الإجابة، (وَمَنْ

رَقَّيْتُهُ) أَيْ: أعليتَ قدره في الدارين (إِلَى الْكَمَالِ) أَيْ: إلى رتبة التمكين في التمسُّك بشريعة سيد المُرسلين صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وَبَعْدُ) كلمة فصل بين كلامين، (فَالإِسْنَادُ يَا ذَا الفِطْنَةْ) والذكي المُتوجّه بصدق النية لا بالبطلة، (أَتَى بِهِ الإِخْبَارُ) أَيْ: الإنباء، (عَنْهُ) الضمير يعود إلى السند النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (سُنَّةْ) أَيْ: طريقة مسنونة أَيْ: مُتبّعة، ومع ذلك فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو سيد المرشدين: «خُذُوا عَنِ الَّذِينَ قَالُوا وَاسْتَقَامُوا»، وقال أيضًا سَيِّد المُتّقين: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»[1].

(ثُمَّ شُيُوخُنَا) في طريق اللَّه هُم (آبَاءُ) في (الدِّينِ) الذي هو السبيل لنيل درجات القُرب من المُعِين (وَوَصْلَةٌ إِلَى الْقَوِي الْمَتِينِ) فلولا الأشياخ الواصلون ما عرف سالكٌ سبيل السلوك إلى حضرة الجليل المُبين.

(وَنَسْأَلُ اللَّهَ الرِّضَا عَنَّا) أَيْ: نسأله أن يرضى عنَّا (بِهِمْ) أَيْ: ببركاتهم وجاههم لديه (وَبِهِمْ) أَيْ: وبسببهم (رِضَاكَ يَا رَبِّ) مُرَبِّي الخلائق (أَلِمْ) أوصله إليهم.

---

(١) أخرجه مسلم ومالك والدارمي وابن حبان والخطيب.

(أَرْوِي) أَيْ: أنقل (إِجَازَةً) وأسندها (إِلَى الطَّرِيقَةِ السُّنِيَّةْ) أَيْ: طريقة أهل اللَّه، (عَنْ شَيْخِنَا عُثْمَانَ) المَكِيّ الميرغنِيّ (ذِي) صاحب (الخَتْمِيَّةْ) واشتهر بالختم لإشارات وقعت له ولغيره من العارفين، قال سَيِّدي علِيّ وفَا: لكل زمان ختم. وقال سَيِّدي مُحيي الدين ابن العربي: للولاية رجل يختم أعلى مقام فيها يُلقَّب بالختم، وآخر ولِيّ ليس بعده وليّ أيضًا يُلقّب بالختم، يخرج من الهند وله أخت هي ختم مقام الولاية من جهة النساء.

(عَنْ شَيْخِهِ) العارف باللَّه (صَاحِبِ مَقَامِكَ النَّفِيسِ) أَيْ: المُتخلّق بأخلاق ذي التقديس (أُسْتَاذِنَا) أهل هذا السلك سَيِّدي ومولاي القطب الغوث سَيِّدي (أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسْ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَفَعَنَا بِهِ، وقد تقدّم بعض الكلام عليه.

(وَوَالِدِهِ) أَيْ: والد مُحمَّد عثمان اسمه (مُحَمَّدْ أَبِي بَكْر) وقدَّمنا الكلام عليه، (وَشَيْخِهِ) أَيْ: وشيخ محمد عثمان صاحب هذا السلك (أَحْمَد بَنَّاهْ الْمُشْتَهَرْ) وتقدَّم تعريفه، وهذا أوّل الكلام على السند.

(وَشَيْخِهِ) أَيْ: شيخ الختم المذكور آنفًا (سَعِيدِ الْعَامُودِيِّ) وقد ذكرتُ قريبًا بعض شأنه، (عَنْ عَبْدِكَ الْقَادِرِيِّ) وعرفنا أمره قريبًا، (كُلٌّ مَسْنُودِي) أَيْ: كُلٌّ من الشيخ أحمد بناه والشيخ سعيد العامُودِيّ أخذا عن الشيخ عبد القادر كما قدَّمنا ذلك مُفصّلاً.

والشيخ عبد القادر أخذَ هذه الطريقة النقشبنديَّة (عَنِ الْإِمَامِ) العارف باللَّه (أَيْ: رَفِيعِ الدِّينِ) أَيْ: المُسمَّى رفيع الدين، (عَنْ خُوجِ) وهو معنى الشيخ بالفارسيَّة، (رَحْمَةِ الْقَوِي الْمَتِينِ) أَيْ: والشيخ رفيع الدين أخذ عن الشيخ رحمة اللَّه.

(فَهْوَ) أَيْ: الشيخ رحمة اللَّه (نَائِبُ رَسُولِ اللَّهِ) هكذا كان يُلقّب بذلك، وذلك يُشعر بأنه كان قطبًا، (صَلَّى عَلَيْهِ) أَيْ: رحمه اللَّه رحمة مقرونة بالتعظيم، والضمير راجع إلى رسول اللَّه، (ذُو الْعُلَى الْإِلَهِ) أَيْ: وهو اللَّه عزَّ وجلَّ الكريم المنَّان على مدى الزمان ما دار الدوران.

(أَيْ: ابْنِ خُوجْ عَالِمْ نَقْشَبَنْدِي) أَيْ: سَيِّدي رحمة اللَّه (الْقَادِرِيِّ) كان جامعًا بين الطريقة النقشبنديَّة والقادريَّة، (قَدَّسَهُ) أَيْ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ ونوَّر ضريحه (ذُو الْجُنْدِي) أَيْ: الذي له جنود السماوات والأرض، ويؤيد فيها مَنْ يشاء من أهل السُّنَّة والفرض.

والشيخ رحمة اللَّه أخذ الطريقة (عَنْ سَيِّدِ الْأَشْرَفِ أَعْنِي الْمَكِّي) العارف باللَّه والدالّ عليه وهو الـ(شَيْخ طَاهِر مُحَمَّد مَحْكِي) تمام البيت.

وهو أخذ (عَنْ سَيِّدِي مُحَمَّد شَاهْ) وكان من أهل الأسرار والكمال، وهو أخذ (عَنْ شَرَفِ الدِّينِ) المُعلَّى مقامه عند اللَّه (يَاهْ) أَيْ: يا سامعين عن أهل طريق الواحد المُبين.

(عَنْ آدَم بَنُّورِ ثُمَّ الْمَدَنِيِّ) وكان من أهل الحال.

والمدني (عَنْ شَيْخِهِ) العارف باللَّه الواصل الذي أحيا اللَّه به آثار الشريعة والحقيقة، ولذا لُقِّب مُجدِّدًا أَيْ: (مُجَدِّدِ الْأَلْفِ الثَّانِي). وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا»[٢]. فكان هو المُجدِّد للمائة التي بعد الألف. وللسُّيُوطِيّ في المُجدِّدين رسالة، وجعل في القرون المُتأخرة مُجدِّدين مُتعدِّدين في كُلِّ جهة مُجدِّد.

(وَهْوَ شَيْخِهِ) المُسمَّى (أَحْمَد) وكان مولده في بلدة تُسمَّى بـ(سَرْهِنْدِي) سنة أربع وثلاثين وألف يوم الثامن والعشرين من صفر الخير، ودُفِن في تلك المدينة، (عَنِ الشَّيْخِ خُوج الدَّهْلَوِي الْجُنْدِي) سيدي محمد بن عبد الباقي، وكان هذا العارف من أشدّ أهل عصره التزامًا بالشريعة وأجهدهم من حيث الطريقة وأمهرهم من حيث الحقيقة.

وهو قد أخذ (عَنْ خُوج مُحَمَّد إِمْكَنْكِي) وأصله إِمْكنة بكسر الهمزة مع سكون الميم، والقرية من قرى بُخارى، وزِيدت الكاف والياء معًا للنسبة.

وهو قد أخذ (عَنْ) والده العارف باللَّه صاحب المعارف مولانا الشيخ (سَيِّدِي دَرْوِيش خُوج الأَمْلَكِي) وكان في عصره مشهورًا بدرويش

(٢) أخرجه أبو داود والطبراني والحاكم والبيهقي والخطيب والديلمي وابن عساكر.

وَلِيّ، وحاله اتّفق أهل عصره على ولايته وعلوّ شأنه، ولفظ الأملكي تمام البيت.

وهو قد أخذ (عَنْ سَيِّدِي خُوج) الشيخ المُكمَّل (مُحَمَّد زَاهِدْ) الصالح التقِيّ المُجاهد، وهو قد خدمه مدّة حتى جعله خليفة في مقامه.

وهو قد أخذ (عَنْ شَيْخِهِ خُوج) سيدي عبد اللَّه المعروف بخوج أحرار، ولذا قال: (عَبْدِ اللَّهِ الْعَابِدْ) وهذا اللقب بإضافة خوج إلى أحرار وفيه مدح عظيم تفيده الإضافة، وأحرار: جمع حُرّ وهو عند أهل اللَّه مَنْ تخلَّص من رِقّ الأغيار، وانفرد بوجهته كلها للملك الغفَّار. وكانت ولادته في رمضان سنة ست وثمانمائة، وتُوفّي سنة خمس وتسعين وثمانمائة، ودُفِن في كشمير، فيكون عمره سبعة وسبعين سنة.

وهو قد أخذ (عَنْ سَيِّدِي الْجَرْخِي أَيْ: يَعْقُوبْ) وكان مولده بجرخ قرية من قرى غزوين، وقبره في هَلْفِتو -بهاءٍ مفتوحة بعدها لام ساكنة ثم فاء مكسورة ثم تاء مثناة فوقية وبعدها واو-.

وهو قد أخذ (عَنْ خُوج قُطْب) أهل هذه الطريقة الممدّ لمنتسبيها ببلوغ الرتب الرفيعة، (خُوج) أَيْ: فهم (الْمَطْلُوبْ) من تعريف أمر هذا الأُستاذ (النَّقْشَبَنْدِي) ومنه سُمِّيت الطريقة هذه بالنقشبندية (أَيْ: بَهَاءِ الدِّينِ) هذا اسمه (قُدِّسْ) أَيْ: قُدِّسَ سِرُّهُ (مِنْ رَبٍّ عَلِيّ مَتِينِ).

وهذا الشيخ بهاء الدين بن مُحمَّد البخاري اُشتهر بنقشبندي، لأن المشائخ من وقت خوجة الخبير الغفنوي إلى وقت أمير كلال كانوا يجمعون الذكر الخفي مع الذكر الجهري، فلما جاء الخوجة بهاء الدين ترك الذكر الجهري واشتغل بالذكر الخفيّ، على طريق نقش الذكر بلا إله إلا اللَّه في قلبه، فلهذا سُمِّي نقشبنديًّا، وعُرِفت الطرق منه بالنقشبندية.

وكان مولده في شهر محرّم سنة ثمانية عشر وثمانمائة في قرية تُسمَّى عرفان من قرى بُخارى فَرَسَخَ فيها، وكان أُوَيْسِيًّا تَربَّى من روحانية الخوجة عبد الخالق، وكانت وفاته يوم الاثنين غُرَّة ربيع الأوَّل سنة إحدى وسبعين وثمانمائة.

وهو قد أخذ (عَنْ سَيِّدِي كُلَالِ الْأَمِيرِ) بضم الكاف ولامين بينهما ألف، ومعناه: صانع الفخار، وُلِد في سوخار -بسين مهملة وواو وخاء معجمة وألف بعدها راء -: قرية على خمس فراسخ من سماس. وهو قد أخذ (عَنْ خُوج أَيْ: مُحَمَّد) اسمه، (الْبَصِيرِ) تتميم للبيت لأجل القافية.

(بَابَا سَمَاسِي) بفتح السين المهملة: قرية من قرى رامتين على مقدار فرسخ منها، ومن بُخارى على مقدار ثلاثة فراسخ، وُلِد بسماس ودُفِن بها، (أَيْ:) كان يُلقَّب بـ(بَهَاءِ الدِّينِ).

وهو أخذ (عَنْ سَيِّدِي خُوج عَلِيِّ رَامِتَنِي) ورامتين: اسم مدينة عظيمة على بعد فرسخين من بُخارى، مات ودُفِن في خوارزم.

وهو أخذ (عَنْ خُوج مَحْمُود) وهذا اسمه (الأَنْجِير الْفَغْنَوِيِّ) وهو اسم قرية من قرى بُخارى، وهو مركب من اسمَيْن: أولهما الأنجير ومعناه بلسانهم: التبيين، والثاني الفغنوي: بفاء موحدة وغين معجمة بعدها نون ساكنة ثم ياء ممدودة وزيدت الواو قبل الياء في البيت لأجل التصريع. ولمَّا جلس لتربية السالكين اشتغل بالذكر الجهري بناءً على استعداد السالكين، فكان ابتداء ظهور الذكر الجهري منه.

وهو أخذ (عَنْ رِيُوكِرِي) بكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة التحتية والواو معًا وكسر الكاف بعده راء: وهي قرية على ستة فراسخ من بُخارى وُلِد بها وتُوفّي بها أيضًا، (مُحَمَّد) هذا اسمه. وقوله (عَبْدِ الْقَوِي) تتميم البيت، وكلنا عبيد القوي سبحانه.

وهو أخذ (عَنْ عَبْدِ الْخَالِقِ مَدْعُو غُجْدُوَانِي) المدعو أَيْ: المعروف بالغجدواني -بضمّ الغين المعجمة والجيم الساكنة المعجمة وضمّ الدال المهملة بعدها واو ثم ألف ثم نون: وهو اسم قرية في أرض بُخارى، وُلِد بها وتُوفِّي فيها.

وهذا الأستاذ اجتمع بالخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ وتبنَّاهُ وعلَّمهُ طريق الذكر الخفيّ، وأمره أن يغطس في الماء ويذكر بقلبه: لا إله إلا اللَّه

محمد رسول اللَّه، ففعلَ مثل ما أمره به فحصلت له الجذبة القيُّوميَّة ثم تسلسلت تلك الجذبة بالذكر الخفيّ في هذه الطريقة، فلهذا كان هو رأس الطريقة بالذكر الخفِيّ.

وهو أخذ (عَنْ يُوسُف الْمَوْصُوف بِالْهَمْدَانِي) ولد بهَمْدان سنة أربعين وأربعمائة، ثم ذهب إلى بغداد، ثم كان يتردَّد بين همدان ومرو، وتُوفّي في الطريق بينهما، ودُفِن في الموضع الذي مات فيه.

وهو أخذ (عَنْ سَيِّدِيِّ) أَيْ: (أَبِي عَلِيٍّ الفَارْمَدِي) واسمه فضل بن مُحمَّد، وكان من أهل الفضل والسِّرّ.

(وَ) هو أخذ عن (أَبِي الْحَسَنِ) سيدي علِيّ بن جعفر (أَعْنِي بِهِ الْخَرْقَانِي) كانت ولادته بعد وفاة العارف باللَّه الغوث سَيِّدي أبي يزيد البسطامي بزمن، وهو أُوَيْسِيّ قد تربَّى من الروحانية، وكانت وفاة الخرقاني سنة خمس وعشرين وأربعمائة في شهر عاشوراء.

وهو أخذ (عَنْ سَيِّدِيِّ طَيْفُورِ ذِي الْمَقَامِ) النفيس والشأن ذي التقديس، (أَيْ: ابْنِ عِيسَى) سيدي أبي يزيد (الْمَعْرُوفِ بِالْبَسْطَامِي) ويُلقَّب عند الأولياء بسلطان العارفين، وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائتين.

وهو أخذها (عَنِ الْإِمَامِ) العارف القُطب سَيِّدي (جَعْفَرَ الْأَجَلِّ) مولاي وَسَيِّدي جعفر الصادق، وكان مولده بالمدينة المنورة سنة

ثمانين من الهجرة، وتُوفِّي بها سنة ثمان وأربعين ومائة، كان إذا احتاج إلى شيء قال: رَبّ أنا مُحتاجٌ كذا. فما يتمّ دعاؤه إلا وذلك الشيء موضوع بجانبه. وقبره بالبقيع مع أبيه وجدّه.

وهو أخذ (عَنْ سَيِّدِي قَاسِمٍ شَيْخِ الثِّقَاتِ الْمَجْلِيّ) وسيدي قاسم وهو والد والدة سيدي جعفر الصادق، وهو سيدي قاسم بن محمد بن الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان أحد الفقهاء السبعة، وكانت وفاته بالمدينة المنورة سنة ثمان ومائة.

وهو أخذ (عَنْ سَيِّدِي سَلْمَان أَعْنِي الْفَارِسِي) مولى رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (الْمَاهِرِ) في العلوم (النَّبِيهِ) في تلقِّي الحكم ذي الفهوم، (وَالْمُمَارِسِ) لكمال الأسرار.

وُلِد بقرية من قرى أصبهان من ديار العجم، كان عطاؤه خمسة آلاف، وكان أميرًا على زهاء ثلاثين ألفًا من المسلمين، وكان يخطب للناس في عباءة يفرش بعضها ويلبس بعضها، وتُوفّي في خلافة سَيِّدنا عثمان وعمره مائتان وخمسون سنة، ودُفِن بالقرب من بيت المقدس، وقال فيه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»[٣].

(٣) أخرجه الطبراني والحاكم وأبو نعيم والبيهقي والديلمي.

وهو أخذ (عَنِ الْإِمَامِ أَيْ: أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) وقدوة المسلمين، خليفة سيد المرسلين، سَيِّدنا الصِّدِّيق عبد اللَّه بن أبي قحافة، يلتقي مع رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مُرَّة، ومناقبه أكثر من أن تحصر.

(أَعَنِي بِهِ أَبَا بِكْرٍ الْأَمِينَ) أَمَّنهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أُمَّتِه، ويكفيك: «مَا صَبَّ اللَّهُ فِي صَدْرِي شَيْئًا إِلَّا وَصَبَبْتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ»[٤].

وكان مولده بعد الفيل في السنة الثالثة من مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أوَّل من آمن بالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وتُوفِّي بعد المغرب ليلة الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشر من الهجرة، وعمره ثلاث وستون سنة.

(وَفَضْلُهُ سَمَا عَلَى الْأَصْحَابِ) وفي الحديث: «مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ»[٥]. وورَدَ: «أَفْضَلُكُمْ أَبُو بَكْرٍ»[٦]. وورَدَ: «مَا فَضَلَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي قَلْبِهِ»[٧]. فهو أفضلكم (بِلَا امْتِرَاءٍ وَبِلَا اِرْتِيَابٍ) لا شكّ في ذلك ولا ريب.

---

(٤) ذكره الرازي في "تفسيره" والسيوطي في "الحاوي"

(٥) أخرجه أحمد والآجري وعبد بن حميد وابن أبي عاصم والخطيب وابن عساكر.

(٦) أخرجه أبو نعيم.

(٧) أخرجه أحمد والحكيم الترمذي.

وهو أخذ (عَنْ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ) وفي الحديث: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»[٨]. «وَآدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي وَلَا فَخْرَ»[٩]. (مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ رَسُولِكَ الْأَمِينَ) وفي الحديث: «إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ وَأَمِينٌ فِي الْأَرْضِ»[١٠].

وُلِد عام الفيل يوم الاثنين في السُّدُس الأخير من الليل على ما عليه أهل اللَّه، ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأَوَّل.

ولمَّا توجَّه لغار ثور حين أخرجه قومه من مكة، لَقَّنَ الصِّدِّيق هنالك كلمة: لا إله إلا اللَّه، بالقلب على الكيفية المعهودة، وكان ذلك التلقين على وجه التثليث -أَعْني كرَّرها ثلاثًا-.

وكانت وفاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نهار الاثنين ثاني عشر ربيع الأَوَّل بالمدينة المُنوَّرة، بعد مضي عشر سنوات من الهجرة. (صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا الْمُتَعَالِي) صلاة تليق به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، (مَا مَاجَتِ الْأَغْصَانُ عَلَى التَّوَالِي). وهنا انتهى السند.

---

(٨) أخرجه مسلم والبخاري في "تاريخه" وأحمد وابن أبو شيبة وابن ماجه وأبو داود والترمذي والطبراني والحاكم والبيهقي.

(٩) أخرجه البزّار والسمرقندي وأبو نعيم وابن عساكر.

(١٠) أخرجه ابن أبي شيبة وابن راهويه والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم.

ولنا سندٌ آخر لهذه الطريقة:

وهو ما أشار إليه بقوله: (وَمِنْ طَرِيقَةِ الصَّحْبِ السَّنِيَّةْ) النضرة البهية، (بَعْض جُدُود شَيْخِنَا مَرْوِيَّةْ) وهذا السند مُتّصل بجدودنا أهل البيت، ويُسَمَّى هذا السند بسلسلة الذهب.

وذلك أن الشيخ العارف باللَّه أبا علِيّ الفارداني، كما أخذ هذه السلسلة عن الخرقاني، أخذها عن سيدي أبي الحسن عليّ بن عبد الواحد الكرماني، أُوَيْسِيّ من التربية ومن حيث الصورة، قد أخذ هذه النسبة عن الشيخ أبي عثمان المغربي سعيد بن سلام، وُلِد بالغرب بقرية يقال لها الكوكب من جهة القيروان، هاجر إلى الحرم المَكِّي، وأقام به نحو ثلاثين سنة، ثم ورَدَ نيسابور، وتُوفِّي بها سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة. ومن كلامه: مَنْ آثرَ صحبة الأغنياء على مُجالسة الفقراء ابتلاه اللَّه بموت القلب.

وهو أخذ عن الشيخ أبي عليّ الحُسَيْن بن أحمد الكاتب، وكان من أكابر مشايخ مصر. ومن كلامه: مَنْ سمع الحكمة ولم يعمل بها فهو منافق. مات سنة نيف وأربعين وثلثمائة.

وهو أخذ عن الشيخ أبي علِيّ الروذباري، أحمد بن محمد، كان من أبناء الوزراء من ذُرِيَّة كسرى من أهل بغداد، ثم ذهب إلى مصر وكان شيخها في وقته، وبها مات سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة،

ودُفِن بالقرافة قريبًا من ذي النون المصري. ومن كلامه: التصوُّف هو الإناخة على باب الحبيب وإن طُرِد. فكان يفتخر ويقول: شيخي في التصوُّف الجنيدي، وفي الفقه ابن شريح، وفي الحديث إبراهيم الحرّيّ.

وهو أخذ عن سيد الطائفة أبي القاسم الجُنَيْد القواريرِيّ، وُلِد ونشأ ببغداد، ومات بها سنة سبع وسبعين ومائتين، وقبره بها ظاهر يُزار. ومن كلامه: التصوُّف صفاء المعاملة مع اللَّه. والغفلة عن اللَّه تعالى أشدُّ من دخول النار.

وهو أخذ عن خاله السَّرِيّ السَّقَطِيّ، ومعنى السَّرِيّ -بفتح السين المهملة وكسر الراء المهملة والياء المشددة-: تمنِّي المرغوب. والسَّقَطِيّ بمعنى الرديء، يُقالُ: متاع سقط بمعنى رديء، وإنما نُسِب لهذا لأنه كان في أوائل أمره يقعد في دكانه يبيع ويشتري، ثم اجتنب الدنيا فلهذا نُسِب إلى السقط: وهو الترك. ومن كلامه: من علامات استدراج العبد عماهُ عن عيبه، واطِّلاعه على عيوب الناس. وهو أوَّل مَنْ تكلَّم في توحيد القوم ببغداد، وإليه ينتمي أكثر مشايخها، تُوفِّي سنة إحدى وخمسين ومائتين، وقبره بِالشُّونِيزِيَّةِ ظاهرٌ يُزار.

وهو أخذ عن سيدي الكامل معروف الكرخي، والكرخ: محلة ببغداد، وكان من موالي علِيّ الرِّضَا. ومن كلامه: ما أكثر الصالحين

وما أقلّ الصادقين، مات ببغداد ودُفِن بها، وقبره يُستسقى به، وكانت وفاته عام مائتين.

وهو أخذ عن علِيِّ الرِّضَا، ومن هنا دخل السلك في سند أهل البيت، وهذا الإمام هو من أئمة السند الاثني عشر، وُلِد في المدينة المُنوَّرة في ربيع الأَوَّل عام ثلاث وخمسين ومائة، وبُويع له في عهد ولاية المأمون، وكانت وفاته بطوس من أرض خُراسان بقريةٍ يُقال لها سناباد، ودُفِن في القبة التي فيها هارون الرشيد، وكان انتقاله في رمضان سنة ثلاث ومائتين، وقيل: مات مسمُومًا.

وهو أخذ عن والده موسى الكاظم، وهو أيضًا من الأئمة الاثني عشر، وُلِد يوم الأحد في السابع عشر من شهر صفر سنة ثمان وعشرين ومائة، وكانت ولادته بالمدينة المُنوَّرة، وسكنَ بها إلى قدوم الرشيد إليها فحمله منها إلى بغداد، وحبسه بها إلى أن تُوفّي في حبسه، يوم الجمعة من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة، ودُفِن في مقابر قريش ببغداد، وقبره مشهُور وعليه يلوح النور، وكان يُكنَّى بالسَّيِّد الصَّالِح.

ومن هُنا شرعَ ناظم السند في ذكر من عدَّهم في السند من أهل البيت فقال: (وَذَاكَ أَنَّ جَعْفَرَ الصَّادِقَ قَدْ) صحب والده محمد الباقر، تُوفِّي بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة. ومن كلامه: إذا بلغك عن

أخيك ما تكرهه، فاطلب له من عذرٍ واحدٍ إلى سبعين عذرًا، فإن لم تجد فقُلْ: لعل له عُذرًا لا أعرفه. وكان يلبس الجُبَّة الغليظة على جسده، والحُلَّة من الخَزِّ على ظاهره، ويقول: نلبس الجُبَّة للَّهِ والخَزّ لكم، فما كان للَّه أخفيناه وما كان لكم أبديناه.

(صَحِبَ) أَيْ: جعفر الصادق صحب (أَبَاهُ الْبَاقِرَ مُحَمَّدْ) أَيْ: أخذ عن والده سَيِّدي مُحمَّد الباقر، وهو أيضًا من الأئمة الاثني عشر، سُمِّي الباقر لأنه بَقَرَ العلم أَيْ: شَقَّهُ وعلِمَ خفيه. ومن كلامه: ما دخلَ قلب امرىء شيءٌ من الكبر إلا نقص من عقله، قدر ما دخل من ذلك الكبر قلّ أو كثر. مات سنة سبع عشرة ومائة، وهو ابن ثلاث وسبعين، وأوصى أن يُكفَّن في قميصه الذي كان يُصلِّي فيه.

(وَهْوَ لِزَيْنِ الْعَابِدِينَ أَبِيهِ صَحِبْ) أَيْ: صحب والده زَيْن العابدين عليًّا الأصغر، وأما الأكبر فقد قُتِل مع الحُسَيْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ومن كلامه: إذا نصح العبد للَّه في سِرِّهِ أطلعه اللَّه على مساويء عمله، فتشاغَل بعيوبه عن عيوب الناس. تُوفِّي بالمدينة المُنوَّرة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة، ودُفِن بالبقيع.

(وَذَا) أَيْ: زَيْن العابدين (عَنِ) والده (الْحُسَيْنِ يَرْوِيهِ) أَيْ: يروي هذا السند عن والده سَيِّدنا الحُسَيْن بن سَيِّدنا عليّ ووالدته الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وُلِد في شعبان سنة أربع من الهجرة، وكان له من الأولاد

خمسة منهم: علِيّ الأكبر وعلِيّ الأصغر وله العقب فالأشراف الحُسَيْنيون كلهم منه.

وحَجَّ سَيِّدُنا الحُسَيْن خمسًا وعشرين حجّة ماشيًّا، والنجائب تُقاد بين يديه. ومن كلامه: اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم. قُتِل بكربلاء يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وهو ابن ست وخمسين سنة، وحُمِلت رأسه إلى مصر، ودُفِن في المشهد المشهور، ومشى الناس أمامه حُفَاة من غَزَّة إلى مصر تعظيمًا له.

(ثُمَّ الْحُسَيْنِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحب ويروي سنده (عَنْ أَبِيهِ المُجْتَلِّي)، وهذا السند مُتّصل (بِصُحْبَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ) واحدٍ بعد واحدٍ، من عَلِيّ الرِّضَا إلى ما بعده كما تقدَّم.

(يُنْبِئُ عَنْ عَلِيٍّ) بن أبي طالب كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وهو ابن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وُلِد في جوف بيت الله الحرام، ولم يتيسر ذلك كما قيل لأحد غيره، وكانت ولادته يوم الأحد يوم ثلاث وعشرين من رجب بعد مضي ثلاثين سنة من عام الفيل.

مات شهيدًا قتله عبد الرحمن بن ملجم أشقى الآخرين كما في الحديث بسيفٍ مسمُوم، وذلك في رمضان، وكان ضربهُ بالسيف عند خروجه من البيت لصلاة الفجر يوم الجمعة، ووفاته ليلة الأحد بعد

يومين، سنة اثنين وأربعين، ودُفِن بالكوفة.

ومن كلامه: أعلم الناس باللَّه أشدهم تحيُّرًا فيه، وأشدّهم بإحسانه على عباده تدبُّرا وتعظيمًا لأهل لا إله إلا اللَّه. وفي الحديث: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا»[١١].

(وَهْوَ) سَيِّدُنا علِيّ صحبَ وأخذَ هذه السلسلة الذهبية (عَنِ النَّبِيِّ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ) ومُمِدّ جميع الكاملين، من رُسُلٍ وملائكةٍ وأنبياءٍ وأولياءٍ ومؤمنين، وكان هذا التلقّي حين «قَالَ سَيِّدُنا عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى أَقْرَبِ الطُّرُقِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكَ بِمُدَاوَمَةِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: كَيْفَ أَذْكُرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، فَقَالَ: غَمِّضْ عَيْنَيْكَ وَاسْمَعْ مِنِّي ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْ أَنْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَأَنَا أَسْمَعُ مِنْكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مُغمضًا عَيْنَيْهِ رَافِعًا صَوْته، وَعَلِيٌّ يَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ»[١٢].

(وَهْوَ عَنْ جِبْرِيلَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) والأمر مسنودٌ عن جبريل عنِ الحَقّ، كما يعلم ذلك مَن له تحقُّق.

---

(١١) أخرجه أحمد والترمذي والطبري والخطيب والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر.

(١٢) ذكره السيوطي والبديري في "الجواهر الغوالي" والخليلي في "فتاويه" وعقيلة في "الفوائد الجليلة".

(نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ ذَا الإِفْضَالِ) صفة، ونحمدك أَيْ: نُثني عليك ثناءً ذا إفضال، وكمال لائق بذاتك العليَّة القُدْسِيَّة، حمدًا على توفيقك لنظم هذا السند وتتميمه. فلذا قال: (عَلَى تَمَامِ الدُّرِّ وَاللَّآلِي) اسم المنظومة.

(بِشَهْرِ شَعْبَانِ نَظْمِي انْقَضَى) ألَّفها في شعبان، (بَعْدَ لُبِّ غُرِّ مِنْ عَامٍ مَضَى) عام ثلاثين واثنين وألف ومائتين، لأن اللام بثلاثين والباء باثنين والغين المعجمة بألف والراء بمائتين.

(جَزَانِي اللَّهُ صَفْحَ الْمَاهِرِينَ)، فمن طلبوا مني ذلك (أَهَّلِ الْتُّقَى وَالصَّفْحِ لِلْمُتَطَفِّلِينَ) على النظم وهو أَهْلٌ لذلك، لكن إظهارٌ للتواضع.

(وَاللَّهَ يَجْعَلُنَا بِذِي الْأَئِمَّةْ) توسل بأهل السلسلة، (مِمَّنْ رَقَى أَعَلَى مَقَامِ جَمَّةْ) أَيْ مِمّن ترقَّى أعلى مقامات الولاية.

منحنا اللَّه وإيَّاه وجميع الإخوان ذلك، وأنالنا جميعًا مما هنالك.

وقد ذكرنا سندَيْن لهذه الطريقة.

ولها سندٌ ثالث وهو:

أن الكرخي سَيِّدي معروفًا أخذَ عن سَيِّدي داود الطَّائِيّ، وهو أخذ عن سَيِّدي حبيب العجمِيّ، وهو أخذ عن سيد التابعين سَيِّدِي حسن البصرِيّ، وهو أخذ عن سَيِّدِي علِيّ بن أبي طالب كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وهو أخذ عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أخذها عن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أخذها عن رَبِّ العالمين.

وهذه أسانيد الطريقة النقشبنديَّة، مع ما معها من سُبُلٍ سَنِيَّة.

وها نحنُ نشرعُ في الكلام على الأساس الذي هو مبنى طريقتنا.

فاعلم أن أساسنا الذي هو مبنى طريقتنا قد تضمَّن كما قدَّمنا نهج الطريقة النقشبندية والقادرية والشاذلية والجُنَيْدية والميرغنية، لأن فيه الاستغفار والكلمة والصَّلَاة علَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكُلُّ هذه الطرق مبناها وجُلّ أورادها ذلك، والطريقة الميرغنية مثلهم ولها طريق خاص، وهو جلاء البصيرة بكثرة رؤية المُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكُلّ الطرق لا بُدّ لها من ذلك، لكن يتفاوت الحال في ذلك.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) بدأ الأساس بالبسملة اقتداءً بقول سيد أُولي الألباب: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِفْتَاحُ كُلِّ كِتَابٍ»[١٣]. (الحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ لِلَّهِ) اللايقان بجلال اللَّه، (حَمْدًا وَشُكْرًا مِنَ اللَّه) عنه سبحانه، (وَإِلى اللَّه) صادرًا من حضرته لأنه هو اللائق بعظمته، وفي الحديث: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[١٤]. (كَمَا يَلِيقُ بِعَظَمَةِ ذَاتِ اللَّه) وهو المُناسب لكبرياء الإله، (فِي كُلِّ لَمْحَةٍ) تلمحها العيون، (وَنَفَسٍ) يتنفَّسهُ المُتنفِسُّون، (عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللَّه). وهذه الأعداد لا يُحصيها كاتبٌ.

---

(١٣) أخرجه الخطيب في "الجامع".

(١٤) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد ومالك والطيالسي وابن ماجه وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني والحاكم والبيهقي.

(اللَّهمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، صَلَاةً أَنَالُ بِبَرَكَتِهَا حُسْنَ الخِتَامِ) الذي هو أقصى المرام، (صَلَاةً بِعَدَدِ تَجَلِّيَاتِ اللَّهِ لِسَيِّدِ الأَنَامِ) أَيْ: بعدد تجلِيّ الحقّ للحضرة الأحمدية، وذلك لا يتناهى بحقّ رَبِّ البرِيّة، (وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّلَامُ) الذين هم هُداتنا ومصابيح الظلام.

ثم يقول الذاكر: (اللَّهمَّ إِنِّي أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ نَفَسٍ) هو الصاعد من كل مُتَنَفِّس، (وَلَمْحَةٍ) يلمحها، (وَلَحْظَةٍ) يلحظها، (وَطرْفَةٍ يَطْرِفُ بِهَا) من جميع عوالمك، (أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الأَرْضِ وَكُلّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ) يا مُحيطًا بكل شيء (كَائِنٌ) يبرز، (أَوْقَدَ كَانْ) برز.

(أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ) يا مَنْ وسع علمه كُلّ شيء.

(﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]).

وردَ في الحديث عن موسى عن جبريل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ لَكَ: مَنْ قَالَ فِي دُبر كُلّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ مَرَّة وَاحِدَة: اللَّهُمَّ إِنِّي أقدم إِلَيْك بَين يَدَيْ... إِلَى آخِر آيَةِ الكُرْسِي، فَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرْبَع وَعِشْرُونَ سَاعَة، لَيْسَ مِنْهَا سَاعَة إِلَّا وَيَصْعَدُ إِلَيّ مِنْهُ سَبْعُونَ أَلْف أَلْف حَسَنَة، حَتَّى يُنْفخ فِي الصُّورِ وتشتغل الْمَلَائِكَةُ بِذَلِك»[١٥].

(١٥) أخرجه الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول".

وقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَعْظَم آيَة فِي القُرْآن آيَة الكُرْسِي، مَنْ قَرَأَهَا بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا يَكْتُبُ مِنْ حَسَنَاتِهِ وَيَمْحُو مِنْ سَيِّئَاتِهِ إِلَى الْغَد مِنْ تِلْكَ السَّاعَة»[١٦]. وَوَرَدَ مَرْفُوعًا: «أَنَّهَا مَا قُرِئَتْ فِي دَارٍ إِلَّا هَجَرتهَا الشَّيَاطِين ثَلَاثِينَ يَوْمًا، وَلَا يدخلهَا سَاحِر وَلَا سَاحِرَة»[١٧]. إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في فضائلها.

ثم يقرأ الذاكر آخر سورة البقرة: (﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٤-٢٨٦]).

وفي الخبر مرفوعًا: «أَنَّهَا نَزَلَتْ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ»[١٨]. وأَنَّ مَنْ قرأها في كُلِّ ليلة تكفيه.

ثم يقرأ الذاكر: (﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران: ١٨-

(١٦) ذكره البيضاوي وأبي السعود في "تفسيرهما".

(١٧) ذكره النسفي والنيسابوري وأبي السعود في "تفاسيرهم".

(١٨) أخرجه الطبراني المروزي والفريابي وابن أبي حاتم والمستغفري والديلمي والضياء.

[١٩]).

ثم يقرأ الذاكر: (﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: ٢٦-٢٧]).

ثم يقرأ الذاكر: الإخلاص ثلاثًا، والمعوّذتين مَرَّة مَرَّة، والفاتحة مَرَّة.

ذكرَ الجدّ سَيّدي عبد الله الميرغنِيّ في "جواذب القلوب" عَنِ سَيّدِي عَبْدِ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِيّ عَنْ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «سَأَلْتُ أَرْبَعة وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَبِيٍّ عَنْ اسْتِعْمَالِ شَيْءٍ يَأْمَنُ بِهِ الْعَبْدُ مِنْ سَلْبِ الْإِيمَانِ، فَلَمْ يُجِبْنِي أَحَدٌ مِنْهُمْ، حَتَّى اجْتَمَعْت بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْته عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: حَتَّى أَسْأَلَ جِبْرِيلَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: حَتَّى أَسْأَلَ رَبَّ الْعِزَّةِ عَنْ ذَلِك، فَسَأَلَ رَبَّ الْعِزَّةِ فَقَالَ: مَنْ وَاظَبَ عَلَى قِرَاءَةِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾، إلَى آخِرِ السُّورَةِ، وَ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾، إلَى قَوْلِهِ: ﴿الْإِسْلَامُ﴾، وَ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾، إلَى قَوْلِهِ: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وَسُورَةَ الْإِخْلَاصِ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَالْفَاتِحَةَ عَقِبَ كُلِّ صَلَاةٍ، أَمِنَ سَلْبَ الْإِيمَانِ»[١٩].

(١٩) ذكره الشعراني في كتابه "الدلالة على الله تعالى".

أقولُ: ولذلك جعلتُ هذه الأشياء العظيمة في الأساس لعظم فائدتها، بل هي بُغية، وأعظم رأس مال كلّ وليّ ومؤمن.

ثم يقول الذاكر: (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، ثَلَاثًا)، وفي الحديث: أَنَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ ثَلَاث مَرَّاتٍ: «غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[٢٠].

ويَنْوِي بالأُولَى: ما وقعَ منه في حين الأساس من التَّقْصِير والنقص، وبالثانية: ما خطرَ له من الخواطر الكونِيَّة، وبالثالثة: ما جرَى على فكره من طلب ما سوى اللَّه.

ثم يقول الذاكر: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللَّه).

فضل الكلمة لا يُحصَى وأسرارها لا تُستقصَى، وبها الدخول في الإسلام، والترقّي لأعلى درجات الإيمان والإحسان، قال اللَّه تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[محمد: ١٩]. وقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[٢١]. وقالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[٢٢] إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الواردة في فضلها، ومَنْ أراد ذلك فعليه بـ"شرحنا

(٢٠) أخرجه أحمد والترمذي والطبراني وابن السني وأبو نعيم والديلمي.

(٢١) أخرجه ابن ماجه والترمذي وابن السني وابن حبان والحاكم والبيهقي والديلمي.

(٢٢) أخرجه أحمد ومالك والترمذي والبيهقي.

الكبير على راتبنا"، فقد بسطنا الكلام عليها هنالك.

وكُلُّ الطُّرُق هي عمدة أذكارها ومنبع أسرارها، والكلمتان هاتان عن سيدي أحمد بن إدريس تلقيتهما في المعابدة وهو وأنا واقفان، وذكر لنا أنه تلقَّاها عن الحضرة العلِيَّة.

قال الجَدُّ في "الجواذب" في الذكر بالكلمتين وإفراد الأولى ما مُحصِّلهُ: إنَّ مِن العارفين مَنْ اختار الجمع بين الكلمتَيْن ليبوسة وحرارة الأُولَى، فتردّها الثانية لبرودتها ورطوبتها، وأن مَنْ لا يتأذَّى بحرارة لا إله إلا اللَّه، وكانت موافقة لطبعه فالأَوْلَى له الإفراد، وهي مُتضمّنة معنى الثانية.

(مِائَةَ مَرَّةٍ: نِصْف بِالقَلْبِ وَنِصْف بِاللِّسَانِ) : فما كان بالقلب فهو من سلك الطريقة النقشبنديَّة، وما كان باللسان فهو منها ومن باقي الطُّرُق الأخرى المذكورة.

ثم يقول الذاكر: (اللَّه اللَّه، مِائَةَ مَرَّةٍ: نِصْف بِالقَلْبِ وَنِصْف بِاللِّسَانِ) أَيْضًا والشأن فيهما كما تقدَّم.

وهذا الاسم هو سِرُّ الذات وسُلطان الأسماء، وأكمل الذكر به وأعظم الأمر بمدده، وأسماء الحقّ كلها يُتخَلَّق بها إلا هذا الاسم، فلا يُتخَلَّقُ به لأن مضمونه الأُلوهِيَّة. وكان سَيِّدي القُطب الغوث أبو العَبَّاس المُرْسِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحثّ أصحابه على كثرة الذكر به،

ويقول: هذا الاسم سلطان الأسماء، وله بساط وثمرة، فبساطه العلم وثمرته النور، وإذا حصلَ النور حصل الكشف والعيان.

ثم يقول الذاكر: (هُوَ مِائَة مَرَّةٍ: نِصْف بِالقَلْبِ وَنِصْف بِاللِّسَانِ)، والشأن في التقسيم كما مَرَّ يا فهيم.

والذكر بالهُوِيَّة له فيوضات بهيَّة. قال سَيِّدي عبد اللَّه الميرغَنِيُّ في "الجواذب": منهم -أَيْ: مِن أهل اللَّه- مَنْ اخْتَار الذِّكْر بِلَفْظ: هُوَ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ مَوْضُوعًا -عِنْد أَهْل الظَّاهِر- لِلْإِشَارَةِ، وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِمُمَيِّز، فَهُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْبَاطِنِ إِخْبَارٌ عَنْ نِهَايَةِ التَّحْقِيقِ، وَمَوْضُوعٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَيَكْتَفُونَ بِهِ مِنْ كُلِّ بَيَانٍ، يَتْلُوهُ لِاسْتِهْلَاكِهِمْ فِي حَقَائِقِ الْقُرْب وَاسْتِيلَاءِ ذِكْرِ الْحَقِّ عَلَى أَسْرَارِهِمْ، فَمَا سِوَاهُ لَا شَيْء، حَتَّى تَقَعَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ.

ثم يقول الذاكر: (حَيٌّ قَيُّومٌ، مِائَة مَرَّةٍ: نِصْف بِالقَلْبِ وَنِصْف بِاللِّسَانِ)، وقد مَرَّ البيان.

وهذا الذكر له في تنوير القلب وَتَصْفِيَته وفتحه إلى مُشاهدات الملكوت، والاطِّلَاع على الجبروت والفناء في اللَّاهُوت، شأنٌ عظيمٌ. وقد قال كثيرٌ، من أهل اللَّه فيه: إنه هو الاسم الأعظم.

أَخْرجَ السُّيُوطِيُّ فِي "الجَامِع الصَّغِير" عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ

الْآيَتَيْنِ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٦٣]، وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[آل عمران: ١-٢]))[٢٣].

وفِيهِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ مَرْفُوعًا: ((اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ: فِي الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَطَهَ))[٢٤].

قالوا: أنه هو الحَيُّ القَيُّوم.

وورَدَ أَنَّهُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ))[٢٥].

والحاصلُ أن الاسم الأعظم هو سبعة هو عشر حرفًا، ولا يقدر على الذكر به بالحال إلا الكُمَّل، ولا يعرف حقيقته إلا مَنْ تكمَّل، وبعضٌ من حروفه في بعض تراكيب أسماء لها بعضُ شأنٍ.

(٢٣) أخرجه ابن ماجه وأبو داود والترمذي وابن أبي شيبة والطبراني وأبو نعيم والبيهقي.

(٢٤) أخرجه أبو الدنيا وابن ماجه والحاكم والطبراني وابن مردويه والبيهقي والضياء.

(٢٥) أخرجه أحمد وابن ماجه وأبو داود والبزّار والنسائي والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم.

وممَّا قاله بعضُ العارفين في الذكر[٢٦]: اعلم أن لا إله إلا اللَّه قوت القلوب، واللَّه اللَّه قوت الأرواح، وهو هو قوت السِّرّ. واعلم أن هذه الثلاثة -أَعني القلب والروح والسَّرّ- ليست من عالم الخلق بل من عالم الأمر، وهو المراد من قول القُطب العيدروس قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ وَنَفَعَنَا بِهِ: ثلاثة أحرف بين أهل العلم سارت قلوب الكلّ فيها تاهت ونارت. واختُلف في محل هذه الثلاثة: فأمَّا القلب فلا خلاف في أنه يتعلَّق بالجنب الأيسر، وأما الروح فهو يتعلق بالجنب الأيمن، وقال: إن السِّرَّ في الجنب الأيسر فوق القلب، وقيل: إن نور القلب أصفر ونور الروح أحمر ونور السِّرِّ أبيض. وفي كلام بعضهم: إن القلب تحت الثدي الأيسر بأصبعَيْن، والروح تحت الثدي الأيمن بحذاء القلب، والسِّرّ فوق الثدي الأيمن مائلاً إلى وسط الصدر. وفي كلام البعض: إن الروح تحت الثدي الأيمن، والقلب تحت الثدي الأيسر، والسِّرّ تحت أضلاع الصدر في الوسط.

قلتُ: والذي تقتضيه العبارة أن بعضها في البعض، والسِّرّ في الروح والروح في القلب، وذلك ثلاث دوائر: الدائرة الأولى في القلب، والدائرة الثانية التي هي وسط هذه الدائرة هي الروح، والدائرة الثالثة التي وسط هذه الدائرة هي السِّرّ. ولما كانت طريقة

(٢٦) هذه الجُزئية إلى الصلاة الذاتيَّة وردت في النسخة المطبوعة ولم ترد في النسختين المخطوطتين لعلها توجد في نسخ مخطوطة أخرى أو قد تكون هي إضافة من مُحقّقي الطبعة.

الإرادة لي هي الختمية جنحت إلى ذاك كما أشرت إليه.

إذا علِمْتَ ذلك فاعلَمْ أن مكاشفات القُلُوب لذلك بذكر لا إله إلا اللَّه، ومكاشفات الأرواح بذكر اللَّه اللَّه، ومكاشفات الأسرار بذكر هو هو، وقوت القلوب ذكر لا إله إلا اللَّه، وقوت الأرواح ذكر اللَّه اللَّه، وقوت الأسرار ذكر هو هو، فلا إله إلا اللَّه مغناطيس القلوب، واللَّه اللَّه مغناطيس الأرواح، وهو هو مغناطيس الأسرار.

فالقلب والروح والسِّرّ بمنزلة دُرَّة في صدفة في حقة، فالحقة بمنزلة القلب، والصدفة بمنزلة الروح، والدُرّة بمنزلة السِّرّ، وإن شئت قُلْتَ بمنزلة طائر في قفص في بيت، فالبيت بمنزلة القلب والقفص بمنزلة الروح والطائر بمنزلة السِّرّ، فمهما لم تصل إلى البيت لا تصل إلى القفص، ومهما لم تصل إلى القفص لا تصل إلى الطائر.

وكلّ ذلك مهما لم تصل إلى القلب لم تصل إلى الروح، ومهما لم تصل إلى الروح لم تصل إلى السِّرّ، فإذا وصلت إلى البيت فقد وصلت إلى عالم القلوب الذي هو عالم الملكوت المقابل لعالَم المُلك الذي هو عالم الشهادة -أعني عالَم الدنيا-، وإذا وصلت إلى القفص فقد وصلت إلى عالَم الأرواح الذي هو عالم الجبروت، وإذا وصلت إلى الطائر فقد وصلت إلى حضرة اللاهوت، وهو عالَم الأسرار.

واعلَمْ أنك متى فنيتَ عن عالَم الشهادة هذا وهو عالم المُلك الذي قدَّمناهُ، وغبتَ عنه بدخولك في عالم الملكوت، يصير عالَم الشهادة غائبًا عنك وعالَم الغيوب الذي هو عالم الملكوت شهادة لك، أَيْ: تكون مُعاينًا له تراه بعين بصيرتك، فعالم المُلك ما يُرى بعين البصر، وعالم الملكوت ما يُرى بعين البصيرة، وهذا عندهم هو الفناء الأَوَّل.

ولا يزال في سيره حتى يقطع هذا العالَم لأنه كما أن الوقوف مع عالَم المُلك حجاب، كذلك الوقوف مع عالَم الملكوت حجاب، غير أن الأول حجاب ظلمانِيّ والثاني حجاب نورانِيّ، وأكثر ما يحتاج السالك إلى المشايخ في قطع هذا الحجاب، فإنه عند ظهوره ربما ظنّ السالك أنه وصل إلى المقصود فينحجب به وينقطع به.

فإذا جاوَزَ عالَم الملكوت وهو عالَم المطلوب دخَلَ في عالم الجبروت الذي هو عالَم الأرواح، وهذا العالَم غيبي بالنسبة إلى عالَم الملكوت، فيصير عالَم الملكوت له غيبًا وعالم الجبروت له شهادةً، فهذا مبدأ الفناء الثاني.

ولا يزال مُستمرًا على سلوكه مُلازمًا على إقباله حتى يدخل حضرة اللاهوت وهو عالم الأسرار، وهذا هو كمال الفناء الثاني ويُسمَّى فناء الفناء.

فيفنى عن الخلق ويفنى عن فنائه، وهذا هو فناء مُنتهى سير السالكين وهو الفناء المحض، ومن هنا يرجع إلى عالم البقاء المُعبَّر عنه أيضًا بالفرق الثاني وبالصحو بعد المحو، ويعبَّر عنه أيضًا بانصداع الجمع وبالفرق بعد الجمع بظهور الكثرة في الوحدة واعتبارها فيها، ويُعبَّر عنها أيضًا بمحو المحو وفناء الفناء، الذي هو عين البقاء، وجمع الجمع وشهود الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة، فيحصل له شهود التفرُّقة في عين الجمع، حيث لا يكون أحدهما حجابًا عن الآخر، فصاحب هذا المقام لا يحجبه الحَقُّ عن الخلق ولا الخلق عن الحَقِّ، بل يشهد الحَقّ في الخلق والخلق في الحَقِّ، فيعطي كُلّ ذي حقٍّ حقّه.

وأما مَنْ شهد الظاهر فقط فإنه فني به عن المظهر فلم يشهده، وهذا هو صاحب الجمع والاستهلاك والاضمحلال في الذات البحت، وهو صاحب السِّرّ الأَوَّل من الخلق إلى الحَقِّ، وهذه المنزلة هي المُعبَّر عنها بالولاية، وكذلك مَنْ يشهد المظهر فقط فإنه يفنى عنه الظاهر فلم يشهده، وهو صاحب الذوق الأَوَّل.

وأما مَنْ يشهدهما جميعًا فهو الذي لم يحجبه حَقّ عن خلق ولا خلق عن حقّ، وهو الراجع من الحَقّ إلى الخلق مع وجود حقًّا.

وهذه المنزلة المُعبَّر عنها بالفتوّة وفي الفناء، والبقاء والتكميل في الورى، وصاحب هذا المقام هو الذي له من كلّ المقامات واردات، وفي كلّ الحضرات له مشاهدات، ومن كلّ الأسماء عليه تجليات.

فتارة يتكلّم بلسان الحقيقة مع الاستهلاك الصرف، وتارة بلسان الصحو الثاني فرقًا أو مع شيء من السُّكْر، وهو الذي يصلح للإرشاد، لأن هذا المقام هو مقام إرشاد المريدين وتربية السالكين، فهذا المقام في الولاية بمنزلة الرسالة في حق المرسلين من الأنبياء عَلَيْهِمْ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لأنه مقام دعاء الخلق إلى اللَّه باللَّه، وهو المُشار إليه مع مقام الولاية بقولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»[٢٧] و «العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»[٢٨]، والحديث الأول وإن وقع فيه كلام من علماء الظاهر فقد تداولته في كتبهم وعلى ألسنتهم علماء الباطن، ولنا أسوة بهم، ولعله صحّ عندهم من طريق الكشف كحديث: «كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا»[٢٩] فقد صحَّحهُ كشف الشيخ الأكبر قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ في كتابِهِ "الفُتُوحات المَكِّيَّة".

(٢٧) ذكره الرازي في "تفسيره".

(٢٨) أخرجه البخاري في "تاريخه" وابن ماجه وأبو داود والترمذي وابن حبان وأبو نعيم والقضاعي والبيهقي.

(٢٩) ذكره الرازي والنيسابوري وأبو السعود في "تفسيرهم".

ثم يقول الذاكر: (اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِقَدْرِ عَظَمَةِ ذَاتِكَ يَا أَحَدُ) ولا يعلم أحدٌ مقدار ذلك إلا اللَّه المالك، (ثَلَاثَ عَشَرَةَ مَرَّةً)، وهذا العدد له سِرٌّ يمدّ التالِي إلى مراقي درج القطبيَّة والغوثيَّة، كما يعلم مَنْ اطّلع على درجة الولاية البهيَّة.

ثم يقول الذاكر: (اللَّهُمَّ) أَيْ يا اللَّه إِنِّي أتوسَّلُ إليك وأسألك (بِأَلِفِ الابْتِدَاءِ) إشارة للحضرة العلِيَّة التي ظهرت عنها العوالم الخَلْقيَّة. وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ نُورِهِ فَقَالَ لَهَا: كُونِي مُحَمَّدًا»[٣٠]. وعن الحضرة المُحمَّديَّة كُلّ مكنونٍ بدأ.

(وَيَاءِ الانْتِهَاءِ) لأن العَوْدَ إليه كما يعلمه أولو النُّهَى، ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾[النجم: ٤٢].

قال سَيِّدي العارف باللَّه الفَرْد المغربِيّ الشَّيْخ مُحيي الدين ابن العربِيّ:

انظرْ إلى العرش إلى مائه ... سفينة تجري بأسمائهِ
واعجبْ له من مركب سائر ... قد أودع الحق بأحشائهِ
يسبح في بحر بلا ساحل ... في حُندس الليل وظلمائهِ
وموجه أحوال عشاقه ... وريحه أنفاس أبنائهِ
فلو تراه بالورى سائرًا ... من ألف الخط إلى يائهِ

(٣٠) ذكره بمعناه ابن الجوزي في "مولد العروس" وابن عجيبة في "تفسيره".

ويرجع العود إلى بدئه ولا نهاية لإبدائهِ
يكوّر الليل على صبحهِ وصبحهُ يفنى بإمسائهِ
فانظرْ إلى الحكمة سيّارة في وسط الفلك وأرجائهِ
ومَن أتى يرغب في شأنه يقعد في الدنيا بسيسانهِ
حتى ترى في نفسه فلكه وصنعة اللَّه في إنشائه

(وَبِالصِّفَاتِ العُلَى) أَيْ: بصفات الجليل المولى، وكمالاته لا تتناهى، وصفاته للكمالات منتهاها، (وَبِالذَّاتِ يَا أَعْلَى) أَيْ: ذات العلِيّ الأعلى، وكُنْهِه الذي هو بُغْيَة كُلّ حُرٍّ ومَوْلى، ولا يصل إليه أحدٌ ولا يحيط به مَجْلَى، (صَلِّ عَلَى سُلْطَانِ المَمْلَكَةِ) والمُتصرِّف فيها وهي بيده مُمْسِكة.

(وَإِمَامِ الحَضْرَةِ المُقَدَّسَةِ) التي فيها الأسرار والأنوار مُؤسَّسَة، وهو إمام هذه الحضرة وكُلّ الحضرات، وزمام جميع الدواوين الإلهيات والمَنصَّات، وهي حضيرة في باطن العرش، وفيها سجاجيد من أنوار كالفرش، على ألوان شتَّى من أخضر وأحمر وأبيض وأصفر، جالسون عليها الرسل والأنبياء، وكبار الأولياء والعارفين والأتقياء، وفيها مواضيع خالية لمَنْ برز، ومن لم يبرز من الأجلَّاء، وبها جمعٌ من الملائكة الأجلاء، وبصدرها الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسٌ بأعلى ذُراها مع تعدُّد مظاهره ومُؤنس، وبجانبه الخليل والكليم

وعيسى.

ويليهم السادة أهل التكريم، وبجانبه الآخر آدم ونوح وشُعَيْب، ويليهم بعض أكابر الرُّسُل ليس في ذلك رَيْب، غير أن الأنبياء ليسوا كلهم متتابعين، بل في وسط الجمع مُفَرَّقين، وموضع يُرَى فيه برنامج الكمالات، وبجانبه الصِّدِّيق والفاروق وعثمان ذووا الخيرات، وعلِيّ، ويليهم كبار الصحب والأولياء، وبالجانب الآخر الزَّهْراء والحَسَنان، وبعض مَنْ له منزلة فُخْرَى.

ويليهم بعض أهل البيت وكبار المُقرَّبين، كما يعلم ذلك مَنْ له ذوق الواصلين.

وإذا حصلَ اصطفاء لبعض الأكابر وأراد الحَقّ إظهاره في الدواوين أَيْ: دواوين الكون العلوية والسفلية، وضَعَ له كُرْسِيًّا في وسط هذه الحضرة القُدْسِيَّة، وجعل بجانبه منبرًا من نور عليه بهجة بهيَّة، وجلس على ذلك المنبر المُصْطَفَى، وقعد على الكرسي ذلك الولِيّ الذي حصل له هذا الاصطفاء.

ونادَى جبريلُ: «إِنَّ اللَّهَ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحِبُّوهُ»[٣١] فَيُحِبُّهُ أَهْل العوالم العلويَّة وَيُحِبُّوهُ و«يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»، ويكون محبوبًا عندهم أجمعين إلَّا بنو آدم فيتخالف أمرهم فيه، وينتفع به من فتحَ

(٣١) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد ومالك والنسائي والبزار وابن حبان والطبراني وأبو نعيم والبيهقي.

اللَّه قلبه وكان نبيهًا.

قال سَيِّدي العارف باللَّه ابن العربي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وببركته عظِّمْ مشربِي: مرَّرتُ أنا وبعض الأبدال بجبل قاف، ورأينا الحَيَّة المُحيطة به، فقال لي البدل: سلِّمْ عليها فسلَّمتُ عليها، فرَدَّت علَيَّ السلام، وقالت: ما حال أبي مدين عندك ؟، فقلتُ لها: وهل تعرفين أبا مدين؟، قالت: إن اللَّه منذ اتَّخذهُ وَليًّا لم يبق شيءٌ في الكون إلا عرفه. إلى آخر الحكاية.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ». وفي البُغْضِ ذكرَ نحوه.

قال الجَدُّ الميرغنِيّ كان لِي ولَهُ الغنِيّ:

حمْ بِالحِمَى القُدْسِيّ وَاجْلسْ عَلَى الْكُرْسِي
وَاخْرجْ عَنِ الْأَكْوَانِ حَتَّى عَنِ النَّفْسِ

يشيرُ إلى هذا المشهد بهذا الكلام المنشد.

وفي الحديث عن عَلِيّ كرَّم اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ حَوْلَ الْعَرْشِ مَوْضِعًا يُسَمَّى حَظِيرَةُ الْقُدْسِ، وَهُوَ مِنَ النُّورِ فِيهَا مَلَائِكَةٌ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى عِبَادَةً لَا يَفْتُرُونَ عَنْهَا سَاعَةً، فَإِذَا كَانَ لَيَالِي رَمَضَانَ اسْتَأْذَنُوا رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ، فَيُصَلُّونَ مَعَ بَنِي آدَمَ، فَكُلُّ مَنْ مَسَّهُمْ أَوْ مَسُّوهُ سَعِدَ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا»[٣٢].

وهذه الحضرة هي أجمع حضرات الحق، كما أن حضرة البسط الأحمدية هي أجمع الحضرات النَّبويَّة يعلم ذلك من تحقَّق.

(المُفِيضِ عَلَى المَلَأِ الأَعْلَى) من الملائكة الكُرُوبِيِّين المعرُوفين عندنا بالمُهيمين، وهم ملائكة خُلِقُوا من نور الجمال، وغُيِّبُوا فيه على النوال، فلا يفيقُون في الدارين، والأفراد على قدمهم في الشهود بلامين، وكذا هو عَلَيْهِ السَّلَامُ المُفيض على ملائكة التصيير، ولا مَلَك في العوالم إلا وله تعبير.

(مِنْ وَرَاءِ حُجُبِكَ الجِلَا) أَيْ: إمدادهم وما به يترقُّون، والحُجب بحسب حال المخلوقين، (مَنْ قَامَتْ بِهِ عَوَالِمُ الجَبَرُوتِ) فجميع أحوالها وأطوارها به لها الثبوت، (وَظَهَرَتْ عَنْهُ عَوَالِمُ المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ)،

(٣٢) ذكره السمرقندي في "تنبيه الغافلين" وعبد القادر الجيلاني في "الغنية".

والملكُوت: هو عالم السماوات، والمُلْك هو: عالم الأرض، والجبرُوت: عالم العرش.

واعلم أن كُلَّ العوالم عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظهرت ومنه برزت ومن نوره خُلِقت.

أخرج الشيخ الأكبر، ابن العربِيّ أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْنَا من نوره الأفخر، في كتابه المُسَمَّى "بُلْغة الخواص في الأكوان إلى معدن الإخلاص" عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «سألتُ رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أول شيء خلقه اللَّه تعالى؟، فقال: هو نور نبيك يا جابر، خلقه اللَّه ثم خلق فيه كل خير، وخلق بعده كلّ شيء، وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحُبّ اثنتي عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثنتي عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق الملائكة من جزء، والشمس من جزء، والقمر والكواكب من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثنتي عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق العقل من جزء، والعلم والحكمة من جزء، والعصمة والتوفيق

من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثنتي عشر ألف سنة.

ثم نظر اللَّه عَزَّ وجَلَّ إليه فترشَّح النور عرقًا، فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفًا وأربعة آلاف قطرة من النور، فخلق اللَّه من كلّ قطرة روح نبيّ أو رسول، ثم تنفَّست أرواح الأنبياء فخلق اللَّه من أنفاسهم الأولياء والشهداء والسعداء والمطيعين إلى يوم القيامة.

فالعرش والكرسي من نوري، والكُرُوبِيّين من نوري، والروحانيون والملائكة من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري، وملائكة السماوات السبع من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والتوفيق من نوري، وأرواح الرسل والأنبياء من نوري، والشهداء والسعداء والصالحون من نتاج نوري.

ثم خلق اللَّه اثني عشر ألف حجاب فأقام اللَّه نوري، وهو الجزء الرابع، في كلّ حجاب ألف سنة، وهي مقامات العبودية والسكينة والصبر والصدق واليقين، فغمر اللَّه ذلك النور في كل حجاب ألف سنة، فلما أخرج اللَّه النور من الحُجُب ركَّبه اللَّه في الأرض، فكان يضيء منها ما بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم.

ثم خلق اللَّه آدم من الأرض فركَّب فيه النور في جبينه، ثم انتقل منه إلى شيث، وكان ينتقل من طاهرٍ إلى طيِّبٍ ومن طيِّبٍ إلى طاهرٍ، إلى أن أوصله اللَّه إلى صلب عبد اللَّه بن عبد المُطّلب، ومنه إلى

رحم أُمِّي آمنة، ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين، ورحمة للعالمين وقائد الغُرّ المحجلين، هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر »[٣٣].

فمن هذا علمت أن جميع المخلوقات ظهرت من نوره، وغمرها بفيضِه وسِرّهِ.

(المُطَمْطَمِ) أي الملآن (بِالأَنْوَارِ العَلِيَّةِ) من الحضرة الوهبية، (وَالكَنْزِ الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ عَلَى الحَقِيقَةِ إِلَّا مَالِكُ البَرِّيَّةِ) الكنز في الأصل هو: المجموع من المتاع النفيس من الجواهر ونحوها، والغالب أن يدفن ولا يعرفه أحدٌ إلا مُدَّخِرهُ ودافنه. وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنز علوم الحقّ، وأسراره ودقائقه الخفِيَّة، وكبير أنواره الظاهرة الجَليَّة، ولا يعلم حقيقة ما له إلا مولاه، ولا يحيط بما حواه من الغرائب إلا مَنْ أولاه. وفي الحديث: (وَاللَّه لَا يَعْرِفُنِي حَقِيقَةً غَيْر رَبِّي)، فانظر إلى حقيقة سيد المُحِبّين.

(تَرْجُمَانِ الرَّحْمَنِ) أَيْ: المُترجِم لهم عن كل شريعة وحقيقة وعرفان، ولذا قال: (لِعَبَادِهِ بِالإِحْسَانِ) الذي هو بشارة لأهل الإيقان، (فِي حَضْرَةِ الامْتِنَانِ) أَيْ: من حضرة المِنَّة، واسم اللَّه المَنَّان الصادرة منه كل نعمة، (بِلِسَانِ اللُّطْفِ وَالحَنَانِ) والرأفة مع الإيضاح والبيان.

---

(٣٣) وأخرجه بمعناه عبد الرازق الصنعاني في "مصنفه".

(بِقَوْلِهِ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا وَتَسْتَغْفِرُوا لَأَتَى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» أَوْ كَمَا قَالَ) في الحديث، احترازًا من تغيير بعض لفظ الحديث. وعند السُّيُوطِيّ فِي "الجامع الصغير" أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ لِيَغْفِرَ لَهُمْ»[٣٤]. وغير ذلك من البشائر والأشائر، ما يعمّ الأكابر والأصاغر.

(المُكَمِّلِ لِعِبَادِ اللَّه) الطالبين لحضرة الإله، (بِالنَّفْحَاتِ القُدْسِيَّةِ) المُتلقّي لها من الحضرة الإلهيَّة، المُفِيضة لأهل المشاهد الجَليَّة. وفي الحديث عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «تعرّضوا لِنَفَحَاتِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي دَهْرِهِ نَفَحَاتٌ»[٣٥].

قال الجَدُّ المِيرغنِيّ في آخر "حِكَمِه" في مُناجاته: أَسْأَلُ اللَّهَ نَفْحَةً وَلَوْ لَمْحَةً تَقْلب نَاسُوتِيَّتِي مَلَكُوتِيَّة، وَمَلَكُوتِيَّتِي جَبَرُوتِيَّة، وَجَبَرُوتِيَّتِي لَاهُوتِيَّة، وَلَاهُوتِيَّتِي إِلَهِيَّة، حَتَّى أَتَحَقَّقَ بِمَقَامِ السَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالبَطْشِ بِكَ يَا اللَّهُ.

(وَالمُؤَيِّدِ لَهُمْ بِالظُّهُورَاتِ الأُنْسِيَّةِ) في ترقّيهم إلى الدواوين الإلهية، وذلك أن العارفين والسالكين أهل التمكين، إذا ضعفت قواهم عن حمل ما يرد عليهم من التَّجَلِّيَاتِ والأحوال الكماليات، يمدّهم بالقوة سيد السادات، لكن العارفون يظهر لهم المدد الربَّانِي فيتقوون

(٣٤) أخرجه مسلم والبخاري في "تاريخه" وأحمد وابن أبي شيبة والطبراني والقضاعي والبيهقي والخطيب.
(٣٥) أخرجه الطبراني، وقال العراقي: رواه الترمذي الحكيم في "النوادر".

برؤيته.

(وَالعَرْشِ كَمَا يَلِيقُ بِهِمَا) إذ هو مظهر تَجَلِّيَاتِ الحَقّ، وأنواره العليَّة كما يفهم ذلك أهل الفتق والرَّتْق. قال العارف شيخنا ذو التقديس سيدي أحمد بن إدريس في "صلواته": عَرْشُ رَحْمَانِيَّة الذَّات.

(مَنْ ظَهَرَ الرَّبُّ مِنْ أَجْلِهِ مِنَ العَمَا) فلولاه ما خُلِقت الأكوان، ولا ظهر الحقّ ولا أبدع الكيان. وفي الحديث القدسي: «لَوْلَاكَ مَا خَلَقْتُ عَرْشًا وَلَا كُرْسِيًا وَلَا جَنَّةً وَلَا نَارًا»[٣٦]. وفي الحديث حيثُ قِيلَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ؟، قَالَ: فِي عَمَاءٍ»[٣٧].

(ذِرْوَةِ الدَّوَاوِينِ الإِلَهِيَّةِ) أَيْ: رأسها، ورأسها عليه مبنى أهلها وأُسّها، (تَرْجُمَانِ الحَضَرَاتِ الصَّمَدَانِيَّةِ) والمُعبِّر لهم عن الحضائر الحقِيَّة والحضرات الصمدانيَّة. وقد تكلَّمنا عليها في "شرح راتبنا".

(رُوح المَعَارِفِ) أَيْ: سِرّ زُبدتها، ومنه صدرت (العِلْمِيَّةِ) المُفاضة من حضرة اسم اللَّه الرحمن الرحيم والوهَّاب العليم والفتاح، (وَمَادَّةِ الحَقَائِقِ النُّورَانِيَّةِ) منه مددها وهو أصلها وفرعها، فإنها لا تبرز إلا منه، ولا يمدّ بها أهلها إلا عنه.

---

(٣٦) أخرجه أبو بكر بن الخلال والحاكم والبيهقي وابن عساكر.

(٣٧) أخرجه أحمد والطيالسي وابن ماجه والترمذي وابن حبان والطبراني والبيهقي.

(المُتَجَلِّي فِي سَمَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ) فلا يظهر الحقّ إلا به، ولا يشهده المُقرَّبُون إلا من مجلاه وسرِّهِ. قال العارف سَيِّدي البَكْريّ في بعض "صلواته": مَنْ لا تُجلَى أشعة اللَّه لقلبٍ إلا من مرآة سِرِّه، وهو النور المُطلق، وهو المُتخلّق بأخلاق الحَقّ، كما وصفه في قوله الصدق: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨].

وأمر بالتخلُّق بأخلاق مولاه فقال: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ»[٣٨]. لينالوا حال الفناء في الحضرة العلِيَّة التي هي أصل الفناء، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُفهِمًا لنا حال كمال فنائه في الحقّ وشأن الوصول: «لِي وَقْتٌ لَا يَسَعُنِي فِيهِ غَيْرُ رَبِّي»[٣٩]. فلذا كان يضيق عن فنائه الكُلّي الكون، ولا يسعه إلا نور الإله. قال بعض العارفين: الذي ظهَر لموسى قدر أُنملة الخُنصر من نورِه المُحمَّدِي المُستغرق في حضرة البَرّ.

(وَلَمْ يَفْهَمْ ذَلِكَ سِوَى أَهْلِ المُتَّكَآتِ البَسْطِيَّةِ) على الأرائك النورانيَّة في الدواوين الكماليَّة والمناظر الفردانيَّة، فإنهم إذا تمكَّنُوا في الشهود في حضرة المعبود، علموا أن ما شهدوه من وراء حضرة المصطفى، ولا يخرق ذلك الحجاب، وهذا هو عين الصفاء.

---

(٣٨) ذكره الرازي في "تفسيره".

(٣٩) ذكره القشيري في "رسالته" والكلاباذي في "بحر الفوائد".

أما من كان في أوائل الشهود فيظنّ أنه شهد بذلك النور المُحمَّديّ، وهو خاطئ ليس في ذلك إلى الحقيقة مهديّ. قال الغوث سَيِّدي عبد السلام بن مشيش رَضِيَ عَنْه العَلَّام: وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك.

قال الجُدُّ المِيرغنِيّ أَفاضَ علينا من فيضِهِ الغنِيّ في بعض "صلواته": الظاهر لك في كل المظاهر. وقال أيضًا في "صلاة أُخْرى": مجلى الذات والصفات، ومجمع الأسماء والمُسَمَّيات.

(قَلْبِ القُلُوبِ الوَاسِعَةِ لِلبَرِّ) وهي قلوب الكُمَّل من الأولياء أهل الفخرِ. وورَدَ في بعض الأحاديث القُدْسِيَّة: «مَا وَسِعَنِي سَمَائِي وَلا أَرْضِي وَإِنَّمَا وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ»[٤٠]، فهذه القلوب روحها وسرّها الذي وسعت به التَّجَلِّي، هو نورٌ من الحضرة المُحمَّديَّة في ذلك الفؤاد مُتَدَلِّي.

قال العارف البَكْرِيّ:

الْقَلْبُ بَيْتُ التَّجَلِّي إِنْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي فَادْرِي

قال قُطب أهل السطح، أبو يزيد كبير أهل الشطح: لو اجتمع العالَم بما فيه ألف ألف مَرَّة ومثله معه، ما ملأ زاوية من زوايا قلب العارف.

(٤٠) ذكره الغزالي في "الإحياء". وقال الملا علي في "المرقاة": رواه الدارمي.

ويظهر لبعض الكُمَّل في ترقِّيهم أحوال يشهدون فيه العالَم من فرشِه إلى عرشِه في قلبه ويشهدون جميع الكون فيه، وأهل مشاهدته الكاملة ويرى من علوّه بارزًا إليه التَّجَلِّي، وهذا حالٌ لا يفهمه إلا مَنْ ذاقَ هذا الكمال المَجلِّي.

(وَالقُرْآنِ الَّذِي حَوَى سِرَّ المُقَدَّمِ وَالمُؤَخَّرِ) القرآن معناه الجامع، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السيد الساطع، جمعَ العُلوم والكمالات والأسرار والتَّجَلِّيَات. قال شَيْخُنا ذو التقديس سَيِّدي أحمد بن إدريس أَمَدَّنَا اللَّهُ بمدده النفيس في بعض "صلواته": قُرْآن حقائق الذات وفُرْقان تَجلِّيَات الصِّفَات.

(فَمَا فِي الإِمْكَانِ) لا مُطلقًا بل (بِحَسَبِ مَا قَضَاهُ الدَّيَّانُ) وألزم نفسه ذلك وهو القادر المالك، ولكن أوجب على نفسه وحتَّمَ أن لا يبرز مثله، وبذلك رسمَ أن لا يُرى (أَبْدَعُ مِنْهُ عِنْدَ مَوْلَاهُ) وهذا هو الذي ارتضاه، (وَلَا عِنْدَ مَنْ تَجَلَّى عَلَيْهِ اللَّه) فإن الكامل في المشاهد لا يرى مثله أحدًا جمع المحامد.

(فَهُوَ البَاطِنُ الَّذِي مِنْهُ يُرَى اللَّه) وهو المُتجلّى الذي يُشاهد فيه الإله، فلا يُرى الحقّ إلا به، ولا يبرز إلا بسببه. قال شيخُنا العارف سَيِّدي أحمد بن إدريس: وكيف لا يا رسول اللَّه ومن لوح كُنْهك قرأَ المُقرَّبُون كلهم حقيقة التَّجَلِّيَات.

(وَهُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي بِهِ يَتَجَلَّى اللَّه) فيشهده العارفون في كُلِّ المجالي، وعرفوه في كل مظهرٍ جمالِيّ وجلالِيّ. قال بعض الكُمَّل في بعض صلواته: وأظهرته بصورتك واخترته مستوًى لتجَلِّيكَ. وقال سَيِّدي العارف العكَّاف مولانا القُطب سَيِّدي السقَّاف في "صلواته" ضمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَنْ قرأها الجنة: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدَنَا مُحَمَّد صَاحِب الصُّورَةِ القُدْسِيَّة المُنزلة مِنْ سَمَاءِ قُدْسِ غَيْب الهَوِيَّة.

(اللَّهمَّ بِالسَّاجِدِ عِنْدَ العَرْشِ) أَيْ: الذي يسجد يوم الشفاعة الكُبْرَى في الدار الآخرة، ويُمنح المحامد التي هي محتوية على الثناء الجميل للملك الجليل، كما في حديث: «فَأَخِرُّ سَاجِدًا فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ يُعَلِّمُنِيهَا»[٤١] أَيْ: في ذلك الوقت بحسب تجَلِّيه، والأمور الموجبة لأحوال ذلك اليوم وما فيه.

(وَمَنْ هُوَ سِرُّ العَرْشِ) الذي من نوره خُلِق، ومن فيضه فُتِق، كما مرَّ لنا في حديث جابر، وهو أمر مشهود لذي المخابر.

(ادْخِلْنَا فَوْقَ الفَرْشِ) المُتقدَّم ذكره في باطن العرش في حضرة القُدس، ومحل البسط والأُنس، (وَاحْمِلْنَا) حملاً مصحوبًا بالعناية محفوفًا بالرعاية، ليكون ترقِّينا بك لا بأنفسنا وأعمالنا بل بمَنِّك.

(٤١) أخرجه أحمد والطيالسي والترمذي والنسائي والطبراني وابن منده والحاكم وأبو نعيم والبيهقي.

(إِلَى الدِّيوَانِ الأَعْلَى) والمشهد الكبير الأجلى، وهو حضرة ديوان الكبرياء الأقدس، ومجلى الإله الأنفس، مظهر مخاطبات الأسماء بعضها بعضًا، في إبراز المُكوّنات طولًا وعرضًا، فيقول الاسم مثلاً الحَيّ للقَيُّوم: أقِم، ويقول مثلاً القَيُّوم للحَيّ: أَمدّ بالحياة وتمِّمْ، وهكذا بحسب مظهر كل اسم يناجيه أخيه، ويبرز ذلك الاسم ما هو مُبرزه لمُتجلِّيه.

وقد ذكر هذا الديوان سَيِّدي وأُسْتاذِي القُطب النفيس، مولاي الشريف أحمد بن إدريس، في بعض "أحزابه" نَفَعَنَا اللَّهُ بِسِرِّهِ الأَنِيس، فقال في آخر ذكر ذلك التَّجَلِّي: تُرْجمَان حَضْرِة دِيوَان الكِبْرِيَاء الأَقْدَس، -يَعْنِي بِهِ سَيِّدنَا مُحَمَّدًا- صَاحِب الكَمَالِ الأَنْفَس.

ويكون يا مولانا هذا الترقّي، إلى هذا الديوان المُنقّي، (مَعَ الدِّيوَانِ الأَجْلَى) الجامع لأسرار المولى سَيِّدنَا مُحمَّد واسطة جميع الخواص، المُوصل لهم إلى مناهل الاختصاص، (عَلَى بَاطِنِ مَنْبَعِ سِرِّ) مشرب منبع الفيوضات سِرّ الكمالات، القائل في التعبير عن مشهد له: («إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي»[٤٢]). قال بعضُ أهل الأحوال: وهو أمرٌ حسِيٌّ. وقال بعضُ العارفين: هو مددٌ قُدْسِيٌّ. والكل صحيح لمَنْ له تنقيح.

(٤٢) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد ومالك والنسائي وابن حبان والطبراني وأبو نعيم والبيهقي.

(فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) ومالك أمره، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فإن النهاية إلى حضرته، والغاية هي شهود نضرته.

ثم يقرأ الذاكر: (الفَاتِحَةَ لِرُوحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وله مددٌ عظيم وشأنٌ فخيم، يشاهد ذلك من له نظرٌ مستقيم، وقلبٌ سليم.

ثم يقرأ الذاكر: (الفَاتِحَةَ لِلْخَتمِ السَّيِّدِ مُحَمَّد عُثْمَانَ وَأُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ وَمَشَايِخِهِ أَجْمَعِينَ) ويجد لهُ من الكُلّ مددًا جليلاً، وفَيْضًا جميلاً، إن كان من أهل البصائر الخارقة، والقلوب الجامعة الفارقة.

ثم يقرأ الذاكر: (الفَاتِحَةَ لِسَائِرِ أَوْلِيَاءِ اللَّه أَجْمَعِينَ) ولا بُدّ أن تَهُبَّ له نفحات من هؤلاء السَّادات.

واعلَمْ أيَّدكَ اللَّه بروحٍ منه، ولا أخلاكَ وقتًا عنه: أنَّ هذا الذكر هو "الأساس الصغير"، وهو لكل سالكٍ فخيم من العامّ والخاصّ، وأمَّا مَنْ طلب مقام الخواص، وتوَّجه للاقتناص ونَيْل ما في الأقفاص، لا بُدّ له -أسعدكَ اللَّه- من "الأساس الكبير" ذي الفيض الغزير.

وله ثلاثة أوجه: صُغْرَى، ووُسْطَى، وكُبْرَى.

فالصُّغْرَى يأتي بالحمد والصَّلاة المُتقدّمة في أوَّل "الأساس" هذا ثلاثًا ثلاثًا. ثم الاستغفار المُتقدّم بصيغته سبعين مَرَّة. ثم: التَّهْليل خمسمائة مَرةً نصف بالقلب ونصف باللسان. ثم: اللَّه اللَّه خمسمائة مَرَّة نصف بالقلب ونصف باللسان. ثم: هو هو خمسمائة مَرَّة نصف

بالقلب ونصف باللسان. ثم: حَيُّ قَيُّوم خمسمائة مَرَّة نصف بالقلب ونصف باللسان. ثم يقرأ: اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِقَدْرِ عَظَمَةِ ذَاتِكَ يَا أَحَدُ ثلاثة عشر. ثم: اللَّهُمَّ بألفِ الابْتِدَاء ثَلاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ: الفواتح الثلاثة المُتقدّمة.

وأما الوُسْطَى: فيأتي أَوَّلاً بالحمد والصَّلاة والفاتحة في أَوَّل "الأساس" سبعة سبعة. ثم: الاستغفار المذكور سبعين. ثم التَّهْليل والاسم المُفرد والهوية والحَيّ القَيُّوم، كل واحد على حِدَتِهِ ألفًا نصف بالقلب ونصف باللسان. ثُمَّ: الصَّلاة الذَّاتِيَّة المُتقدّمة ثلاثًا وستين. ثُمَّ: اللَّهُمَّ بألِف الابْتِدَاء ثلاثة عشر. ثُمَّ: الفواتح المُتقدّمة.

وأما الكُبْرَى: فيذكر الحمد والصَّلاة التي بعده المذكورتين في أوَّل "الأساس" سبعة سبعة، ثُمَّ: الاستغفار مائة، ثُمَّ: الكلمة والاسم المُفرد والهوية والحَيّ القَيُّوم، كُلّ واحد ثلاثة آلاف نصف كل عدد منهم بالقلب ونصف باللسان. ثُمَّ: الصَّلاة الذَّاتِيَّة ثلاثمائة وثلاثة عشر. ثُمَّ: اللَّهُمَّ بِأَلف الابْتِدَاء ثَلاثًا وستين. ثُمَّ: الفواتح الثلاثة المُتقدَّمة.

ولنا أذكارٌ في الليل والنهار ورواتب وتوسُّلات، جمعنا الكُلّ في رسالةٍ شرحناها.

وهاهنا قد انتهى الكلام على آخر "الأساس".

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

الأسرار المُترادفة شرح الأنوار المُتراكمة

«الشرح الصغير للراتب»

تأليف
الإمام السيد مُحمَّد عثمان الميرغني الختم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للَّه الذي جعل الذكر في الصباح والمساء من أعظم القُربات، وأيَّدَ ذلك المُصْطَفى بأُمورٍ مُترادفات، أحمدهُ على أن أذن لنا في تأليف حزبٍ جامع، وأشكرهُ على ما أشاعهُ في الناس وجعله خير نافع، وأشهدُ أن لا إله إلا اللَّه العظيم الرافع، وأشهدُ أن سَيِّدنا مُحمَّدًا عبده ورسوله المُشفّع الشافع، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آلِه وصحبِه النُّجُوم السَّواطع.

أمَّا بعدُ، فيقولُ مَنْ قد رقَى الحضرات المُترجم بالعبارات، الراجيّ لعدم الالتفات ختم العارفين الثقات، الشَّرِيف المكِّيّ مُحمَّد عثمان صاحب الزَّلات، ابن السَّيِّد مُحمَّد أبي بكر غَفَرَ اللَّهُ لهما السيئات، آمين:

إنه قد سألني جَمٌّ غفيرٌ وملأٌ كثير، أن أجعلَ شرحًا على "راتبنا" الحائز للخير العميم منذ سنوات، فامتنعتُ لأُمورٍ مُتعدِّدات: منها عدم الإذن المُساعد، ومنها أني لستُ ممِّن له باعٌ ناجد، منهم الفقيه يوسف العالم العلَّامة المعروف بصاحب الطريقة في الحبشة، ومنهم آخرون من تلك الديار، ومنهم بالحجاز جماعة، ومنهم بديار مصر سيدي العالم العلَّامة عبد الرحمن القلتي، ومنهم محمد صادق أفندي، ومنهم جمعٌ من أجلاء العلماء والعمل، ومنهم جمعٌ بدنقلا

أهل وَجْل، ومنهم بكردفان فمن أجلاء أهلها الفقيه العالم العلَّامة عَربِي خطيبها المُحيي، ومنهم الفقيه العالم العامل إبراهيم البرقداوِيّ، ومنهم الشاب الفالح ولدنا الفقيه صالح ابن الفقيه النور، ومنهم جمٌّ غفيرٌ.

فلم أزل بعد سؤال هؤلاء وغيرهم في جُملة أقاليم، أتردَّدُ إلى أن وقع الإذن والتكريم، وذلك يوم الاثنين في شهر الحج بعد صلاة الظهر يوم سبع وعشرين، ونحن في قراءة "الأساس" ذي التمكين، وخلع الأُنْس من حضرات القُدْس، وبُشِّرتُ أن يُنتفع به كمثل ما انتُفع بأصله قبله، فجعلتهُ تعليقًا مُختصرًا بحسب ما ظهر، وبُشِّرتُ أنه بعد زمان سيقع الإذن بشرحٍ ذي لمعان، فأسألُ مَنْ وقفَ عليه ورأى فيه خللاً أن يُصلحه، ولا يتعدَّى علَيَّ بحُرمة الأجل.

وسمَّيتهُ: «**الأسرار المُترادفة من الدواوين الإلهيَّة**» تعليقًا على راتبنا "الأنوار المتراكمة" من الحضرة الوهبية، والخيرات السارية بدُعاء جُملة من الأولياء المُحمَّديَّة. جعلهُ اللَّه خالصًا لوجهه الكريم، ونفع به عباده فإنه وهَّاب عظيم. فنقول:

اعلموا معاشر المُنتسبين أيَّدنِي اللَّه معكم بنور القُدس، وأخرجنا من دائرة مقامات النَّفْس، وطهَّرنا بجوده من مناظر اللَّبْس، أن اللَّه اختار قومًا لولايته وذلك من محض عنايته، وجعلَ لك فرد منهم

أسرارًا، فمنها ما يُؤذَن بظهوره ومنها ما يحتاج إلى إسراره، واختار منهم معشر الدعاية العُبَّاد، وتفضَّل عليهم بكمال الإسعاد، وجعل من هؤلاء قومًا لهم بعض أحزاب وأذكار، نائلين لها من الكتاب والسُّنَّة والإلهام بمقدار، ثم اختار من تلك الأحزاب بعضًا للظهور في كثير من الديار للإمداد، فجَلَّ من مُتفضِّلٍ وهَّاب، فأظهر كل واحد منهم أمره المعلوم في وقت أجله المحتوم، حين وصلت المُدَّة المُعيَّنة لهذه الذات الختميَّة، فأبرزَ هذا الحزب العظيم، وما مضى عليه خمسة أعوام، من وقت تأليفنا لهذا التعليق إلا وملأ أكثر الأقاليم، وكل ذلك بفضل مولانا الكريم.

ثم لتعلموا أن نقدّم لكم بعض فضائله وترغيبه، ولنحثّكم على ما وهبتم من تقريبه. فمنها: أنَّا لم نضع شيئًا منه إلا بإذنٍ إلهِيّ وسِرٍّ مُحمَّديّ، وكل ترتيبه كذلك فاعلموا لهداية المالك، حتى إني كنتُ أكتبُ نَبِيًّا رَسُولًا، فقال لي المُصْطَفى: نَبِيًّا ورَسُولًا.

ومنها: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضمن لمَنْ واظبَ عليه أن يموت على الإيمان. ومنها: سِرُّ قولي: والخيرات السائرية بدُعاء جملة من الأولياء المُحمَّديَّة، أني قرأتُ الفاتحة له مع الدعاء مع جميع أولياء التَّصْرِيف، وقرأهُ ما ينوف على ثلاثمائة من أولياء اللطيف، ومن أهل البرزخ كذلك جملة من أقطاب كبار.

والحاصل أن فضائله كثيرة، ومنها: أن بعض إخواننا رأى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطبني في أن أجلس معه على سجادة فامتنعت، إلا أني قلتُ له: لا أجلس حتى تضمن لي يوم القيامة جميع أهل الراتب، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ضمنتهم لك.

ومنها: أنه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبعضهم: حثُّوا الناس على هذا الراتب ومُرُوهم يتعلَّمُونهُ ويقرءُونهُ، ويُعلِّمُونهُ أولادهم وأولاد أولادهم.

ومنها: أن بعض إخواننا هتفَ به هاتفٌ من جهة سدرة المنتهى في منامه وأشار له: الجنة أعلى الجنان إنها لأهل الراتب. ومنها: ما رَأَوْهُ جماعةٌ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخلع النور لأهل الراتب. ومنها: شهود الصالحين وخلع النور يقظةً على أهل الراتب.

وثَمَّ أمورٌ يجب إلقاء الستر عليها، ومَنْ أرادَ ذلك فعليه بكتاب "جمع الرؤى" من جهة أهل انتسابنا.

(أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) بدأ المُؤلِّف بالاستعاذة لقول اللَّه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. والشيطان إمَّا مأخوذ من شَطَنَ إذا بُعدَ، فتكون نونه أصلية ووزنه فيعال فيكون مصروفًا، أو من الشيطان المُحترق بالنار فيكون مأخوذًا من شَاطَ: إذا احترق، فتكون نونه زائدة ووزنه فعل فيكون ممنوعًا، ويطلق على كل مُتمرِّد من الجن والإنس والحيوان. والرجيم بمعنى المرجوم أَيْ: المطرود من رحمة الحقّ.

(بسم اللَّه الرحمن الرحيم) ثنَّى بالبسملة لقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَجْذَم»[٤٣]. وفي روايةٍ: «فَهُوَ أَقْطَعُ»[٤٤]. قال المُحدِّثُون: أَيْ: ناقص وقليل البركة. ومعنى ذي بال أَيْ: شأن يُهتم به. ثُمَّ قَالَ: يبدأُ: فعل مضارع فإن ضممتَ الياء، وجعلته على وزن يفعل فالإشارة للرَّاتِب أَيْ يبدأ هذا الرَّاتِب بِالفَاتِحَةِ وإن فتحت الياء وجعلته على وزن يفعل، فالإشارة للقارئ ومقصوده بالبدء بعد البسملة البدء الإضافي.

---

(٤٣) أخرجه أبو داود وابن ماجه والنسائي.

(٤٤) أخرجه الخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي والسامع".

والفاتحةُ: قال بعضُ المُفسِّرين: السَّبع المثاني. ووَرَد: أنها «تَعْدِلُ ثُلُثَي الْقُرْآنِ»[٤٥]، ويكفيك أنها بُدِئ بها الكتاب. قال البُخارِيُّ: أُمُّ الْكِتَابِ أَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ.

وورَدَ: عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ: «كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي -إِلَى أَنْ قَالَ- : أَلَا أُعَلِّمُكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ؟، إِلَى أَنْ قَالَ- : فَقَالَ لِي: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ»[٤٦].

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ تُعْدَلُ ثُلُثَي الْقُرْآنِ». وَأورد الدَّيْلَمي في "الفردوس" أَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ تَجْزِي مَا لَا يَجْزِي شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَوْ أَنَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ جُعِلَتْ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، وَجُعِلَ الْقُرْآنُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى لَفَضَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ عَلَى الْقُرْآنِ سَبْعَ مَرَّاتٍ».

ثُمَّ قَالَ: (وَآيَةُ الكُرْسِيّ) وفضائلها عظيمة قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ

---

(٤٥) قال السيوطي: رواه عبد بن حميد، وذكره ابن عطية في "تفسيره" وابن الملقن في "الإعلام بفوائد عمدة الأحكام"، والسيوطي في "حاشيته عل سنن النسائي".

(٤٦) أخرجه الترمذي وذكره الطبري والسمرقندي وابن كثير في "تفاسيرهم".

دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»[٤٧]. وورَدَ: «أَنَّ مَنْ وَاظَبَ عَلَيْهَا بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ أَنَّ الْحَقَّ يَتَوَلَّى قَبْضَ رُوحِهِ بِيَدِهِ»[٤٨].

وقد أمرنا إخواننا بقراءتها عقب كل فريضة مع تقديم قبلها: اللَّهُمَّ إِنِّي أُقَدِّم إِلَيْكَ، لِمَا ورَدَ في "نَوَادِر الأُصُول": «لَقِيَ جِبْرِيلُ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ مَرَّة وَاحِدَة: اللَّهُمَّ إِنِّي أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ نَفَسٍ وَلَمْحَةٍ وَلَحْظَةٍ، وَطرْفَةٍ يَطْرِفُ بِهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلُ الأَرْضِ، وَكُلِّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ كَائِنٌ أَوْقَدَ كَانَ، أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إِلَى ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، فَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرْبَع وَعِشْرُونَ سَاعَة، لَيْسَت مِنْهَا سَاعَة إِلَّا وَيَصْعَدُ إِلَيّ مِنْهُ سَبْعُونَ أَلْف أَلْف حَسَنَة، حَتَّى يُنْفخ فِي الصُّورِ وتشتغل الْمَلَائِكَةُ بِذَلِك».

وقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ أَعْظَمَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ، مَنْ قَرَأَهَا بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا يَكْتُبُ حَسَنَاتِهِ وَيَمْحُو سَيِّئَاتِهِ إِلَى الْغَدِ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ»[٤٩].

وقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا قُرِئَتْ هَذِه الآيَة فِي دَارٍ إِلَّا هَجَرتهَا الشَّيَاطِين ثَلَاثِينَ يَوْمًا، وَلَا يَدْخُلُهَا سَاحِرٌ وَلَا سَاحِرَةٌ أَرْبَعِينَ

(٤٧) أخرجه النسائي والطبراني.

(٤٨) قال السيوطي: رواه ابن السني والديلمي. ذكره القرطبي في "تفسيره" وكذلك ابن عجيبة.

(٤٩) ذكره البيضاوي وأبي السعود في "تفسيرهما".

لَيْلَةً، يَا عَلِيّ عَلِّمهَا وَلَدَيْكَ وَأَهْلَكَ وَجِيرَانَكَ، فَمَا نَزَلَتْ آيَة أَعْظَم مِنْهَا»[٥٠]. وورَدَ: «إِنَّ سَيِّدَ الْكَلَامِ الْقُرْآن، وَسَيِّدُ الْقُرْآنِ سُورَة الْبَقَرَة، وَسَيِّدُ سُورَة الْبَقَرَةِ آيَة الْكُرْسِيّ»[٥١]. إلى غير ذلك من الفضائل.

ثُمَّ قَالَ: (﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٤-٢٨٦]).

واعلم أنه قد ورَدَ: الفاتحة وآية الكرسي وهذه الآية «أُنْزِلَتْ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ»[٥٢]. وورَدَ: أن «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»[٥٣]. وقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عَلِّمُوهَا نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ فَإِنَّهَا صَلَاةٌ وَقُرْآنٌ وَدُعَاءٌ»[٥٤]. وقَالَ عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ

---

(٥٠) ذكره النسفي والنيسابوري وأبي السعود في "تفاسيرهم".

(٥١) أخرجه الديلمي وابن عساكر.

(٥٢) أخرجه الطبراني المروزي والفريابي وابن أبي حاتم والمستغفري والديلمي والضياء.

(٥٣) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني والبيهقي.

(٥٤) أخرجه الحاكم والبيهقي والدارمي والحاكم والبيهقي.

عَنْهُ: «مَا أَعْلَمُ أَحَدًا يَعْقِلُ دَخَلَ فِي الإِسْلامِ يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الثَّلَاثَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ»(٥٥).

فأما الآيتان اللتان في لفظ الحديث من قوله: كفتَاهُ أَيْ في قيام الليل، فهما: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ إلى آخر السورة، وأما الثلاثة الأخرى فهي قوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ إلخ.

والحاصل أن المقصود الاختصار، إذ كَلَّت الهمم من الإكثار، وتركنا تفسير السور والآيات، لأن القصد معرفة الفضائل المُباركات، ومحلّ تفسيرها في مَظَانِّهِ فرَاجِعه.

تنبيه:

لَعَلَّكَ تَقُول: لِمَ اختار المُؤلِّف الاشتغال بالحزب في الصباح والمساء، ولَمْ يُطلقه في وقت ما يَتَيَسَّر؟.

لأُمُورٍ: منها: أنه كان أحب الأعمال إليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما واظَب عليه وإن قَلَّ، فإذا لم يتأكّد بوقت معلوم لعلك تترك أوقاتًا.

ومنها: النظر لقولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَذِكْرُ اللَّهِ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ أَفْضَلُ مِنْ حَطْمِ السُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ إِعْطَاءِ الْمَالِ سَحًّا»(٥٦).

---

(٥٥) أخرجه ابن أبي داود في "شريعة القارئ" والمَرْوَزِي في "قيام الليل"

(٥٦) ذكره ابن عبد البر في "التمهيد" والغزالي في "الإحياء".

وأما تعيينه في الوقتَيْن: أحدهما بعد صلاة الصبح والآخر بعد صلاة المغرب، فاختيارنا للوقت الذي بعد صلاة الفجر لِما ورَد: أَنَّهُ «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ وَجَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ إِلَى أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ يَذْكُرُ اللَّهَ، كُتِبَتْ لَهُ حَجَّة تَامَّة»[٥٧].

وأما اختيارنا له بعد المغرب فلأنه يطلب الاشتغال فيه بذكرٍ أو قراءة أو صلاة، لأنه وقت اشتغال الناس.

وَلَعَلَّكَ تَقُول: لِمَ جُعِل جماعة ولم يجعل لكل أحد مُنفرِدًا؟.

قُلنَا: لِما ورَد من قولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي مَلَإٍ عِنْدَهُ». وقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ»[٥٨].

وفي الحَدِيث الطَّوِيل: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، يَطْلُبُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ». ثُمَّ ساقَ الحَدِيث إِلَى أَنْ قَالَ في آخرِهِ: «ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ لِلمَلَائِكَةِ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا يَسْأَلُونَ، وَأَعَذْتُهُمْ مِمَّا يَسْتَعِيذُونَ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: فِيهِمْ فُلَانٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[٥٩].

---

(٥٧) أخرجه الترمذي والطبراني

(٥٨) أخرجه أحمد والترمذي والبزّار والطبراني والحاكم وأبو نعيم والبيهقي.

(٥٩) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والطبراني والبيهقي وابن حبان.

قالَ الحَدَّادُ: واختار جماعةٌ من أهل طريق التَّصوُّف الجهر بالذكر والاجتماع عليه، وآخرون اختاروا قول الحَقّ: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. ثُمَّ ترجحَّ ذكر الصباح والمساء واختار قومٌ الإسرار، والكُلُّ لهم شأنٌ ومقدار.

ثُمَّ قَالَ: (﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ إِلَى ﴿الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران: ١٨-١٩]). قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُجَاءُ بِصَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ لِعَبْدِي هَذَا عِنْدِي عَهْدٌ، وَأَنَا أَحَقُّ بِوَفَاءِ الْعَهْدِ، أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ»(٦٠).

ثُمَّ قَالَ: (﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ إِلَى ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: ٢٦-٢٧]). هذه الآيات فيها من الخيرات والأسرار ما لا يدخل تحت حصر، وقد ورد أن فيها الاسم الأعظم.

ثُمَّ قَالَ: (يَا رَبُّ) والرَّبُّ: هو الذي يُربّي عباده بإحسانه ويصلح شؤونهم، وتربيته سبحانه لا تُخفى، وهو السيد والقائم بالأمر.

ثُمَّ قَالَ: (يَا رَحْمنُ)، والرحمن: هو الذي تفضَّل على عباده بأنواع نِعَمِهِ، ووسعت رحمته كل شيء وسبقت رحمته غضبه. (يَا عَظِيمُ)

(٦٠) أخرجه الطبراني وأبو نعيم والخطيب والبيهقي.

والعظيم: هو البالغ أقصى مراتب العظمة، لا نسبة لأحد معه في علو شأنه.

ثُمَّ قَالَ: (أَسْأَلُكَ) أَيْ: أَطلبُ من محض تربيتك بالإمداد ورحمتك بالاستعداد وعظمتك يا جواد (تَجَلِّيًا) والتَّجَلِّي: هو ما يرد على قلوب العارفين من أنوارٍ إلهيَّة من حضرات الأسماء والصفات، والتمكين.

(يُذْهِبُ عَنِّي حُجُبَ النَّفْسِ الظُّلْمَانِيَّةَ) والحجاب: ما ستر المطلوب عن عين طالبه. وحُجُب النَّفْس ثلاثة آلاف حجاب، كل حجاب سنة أَيْ: يحتاج لمُكابدة سنة، إلا أن اللَّه تعالى يُخفّف المعنى لأوليائه بمحض عنايته، وقصد أوَّلاً الحجب الظلمانية لأنها قبل النورانية، والحُجُب هي بالنسبة إلى العباد، وأما الحق تعالى فلا يحجبه شيء.

ثُمَّ قَالَ: (يَا فَرْدُ) مَنْ لا يحتاج إلى وزير في تصريفه بأسمائه تعالى وأفعاله وصفاته. (يَا أَحَدُ) أَيْ: بذاته العلية، (يَا نُورُ) إذ من نوره أضاءت العوالم العلويَّة والسفليَّة أَيْ: يا فرد مُدَّنِي من حضرة الفردانية في التحقُّق بمقام الفرديَّة، يا أحدُ أَفِضْ عَلَيَّ من حضرات الأحدية ما استعدُّ به لظهور الأنوار الكبريائيَّة.

يا نُورُ (تَجَلَّى لِي بِالتَجَلِّيَاتِ الصَّمَدَانِيَّةِ) ثُمَّ طلبَ التَّجَلِّيَات الصمدانيَّة الجامعة لسائر التَّجَلِّيَات والأنوار والأسرار واللطائف المحتوية عليها هذه الحضرة البهيَّة.

قال سَيِّدي مُحيي الدين ابن العربي في كتابه "مواقع النجوم" فيما يتضمنه هذا التَّجَلِّي الصَّمدانِي الذي هو كناية عن سِرِّ هذه الحضرة وعظمتها: اعلَمْ أن لهذا التَّجَلِّي الصَّمَدانِي الوتر ثلاثًا وثمانين مقامًا وثُلُث مقام، فأما قَوْلي: وثُلُث مقام أَيْ: لأنه لا ينال منه إلا هذا المقدار، وله من المنازل مائة ألف وثمانون ألفًا، والضِّيائِيات مثل ذلك، وله من اللمحات سبعة آلاف ألف ألف لمحة وأربعون ألف لمحة، النُّورانِيات منها ألف منزل.

ومن الحضرات أربعة آلاف ألف حضرة، ومن التَّجَلِّيَات ثلاثمائة ألف تَجَلِّ وستون ألفًا، النُّورانية منها أربعة آلاف ألف لمحة وثمانمائة ألف لمحة وعشرون ألف لمحة، والضِّيائِيات مثل ذلك.

وله من الدرجات العُلى ألف ومائتا ألف ألف درجة وتسع وثمانون ألف ألف درجة ومائة ألف ألف درجة، النُّورانِيات منها مائة ألف ألف وأربع وأربعون ألف الف زلفة وستمائة ألف زلفة، والضِّيائِيات مثل ذلك.

وله من الأسرار خمسمائة ألف ألف سِرّ وثمانية وتسعون ألف ألف سِرّ وأربعمائة ألف سِرّ، النُّورانِيات منها مائة ألف ألف سِرّ وتسع وثمانون ألف ألف ومائتا ألف ألف سِرّ، والضِّيائِيات مثل ذلك.

وله من اللطائف ألف ألف ألف لطيفة ومائة ألف ألف لطيفة وستة وتسعون ألف ألف لطيفة وثمانمائة ألف لطيفة، النُّورانِيات منها خمسمائة ألف ألف لطيفة، وثمانية وتسعون ألف لطيفة وتسعون ألف ألف لطيفة وثمانمائة ألف لطيفة، والضِّيائِيات مثل ذلك.

وله من الحقائق ألف ألف ألف حقيقة وثلاثمائة ألف ألف حقيقة وثلاث وتسعون ألف ألف حقيقة وستمائة ألف حقيقة، النُّورانِيات منها ألف ألف ألف حقيقة ومائة ألف ألف حقيقة وست وتسعون ألف ألف حقيقة وثمانمائة ألف حقيقة، والضِّيائِيات مثل ذلك.

ثُمَّ في كل فصل من هذه الفُصُول سِرٌّ وحقيقة أو لطيفة أو حضرة أو منزل أو تَجَلٍّ: دقائق ورقائق على عدد ما يحويه الفصل من الأسرار واللطائف، فتحقَّقْ وتخلَّقْ عسى أنك تلحق، واستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، واللَّه يريدك في سلوكك ويجمع

لك بين ملكك ومليكك آمين، وعلى اللَّه قصد السبيل. انتهى كلامه. فانظر لما احتوى عليه هذا الراتب من الفضل العظيم والخير العميم.

ثُمَّ قَالَ: (يَا مُعْطِي) المُعْطِي: هو الذي يعطي في مقابل السؤال وغير ذلك أَيْ: أعطني بحق عظمة الإعطاءات الإلهيَّة الهبائيَّة.

(يَا بَاسِطُ) وهو المُتفضِّل على عباده بالانبساط في المأكل والمشرب وسائر النعم على حسب كثرتها أَيْ: ابسط علَيَّ بسط يديك العليَّة. (يا وَاسِعُ) وسِّعْ علَيَّ إمداداتك السنية.

(واجْعَلْ) هذا العطاء انبساطه ووسعه ينتج لي كمال الانصلاح القلبي الذي يهيئ (قَلْبِي) بأن يكون بيتًا أَيْ مظهرًا لتجَلِّيكَ ومستوًى لأنوار تدلِّيكَ. قال جَلَّ شأنهُ: «مَا وَسِعَنِي سَمَائِي وَلَا أَرْضِي وَلَكِنْ وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ»[٦١].

قالَ المُرتَجِي كمال البَرّ سَيّدي مُصْطَفى البَكْريّ:

الْقَلْبُ بَيْتُ التَّجَلِّي إِنْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي فَادْرِي
وَهُوَ عَرْشُ اسْتِوَاءٍ وَهُوَ كُرْسِي التَّدَلِّي

والقلبُ كما قال الحُكماء: مُضغة لحميَّة تحت الثدي الأيسر.

ثم طلبَ أن يكون قلبه (مَمْلُوءًا بِالأَنْوَارِ الرَّحْمَانِيَّةِ) لأنها تكون لطيفة ومعها البقاء لذاته، لأنه إذا كان تجَلِّي كبرياء يكون نوره

(٦١) ذكره الغزالي في "الإحياء". وقال الملا علي في "المرقاة": رواه الدارمي.

مُحرقًا، والأنوار الرحمانية هي صادرة من التَّجَلِّيَات الرَّحْمَانِيَّة أَيْ: اجعلني مظهر اسمك الرحمن في الوجود مُتخلِّقًا به على كل موجود، لأن مَنْ تخَلَّق بالرحمة نَال خَيْر الدَّارَيْن. واعلَمْ أن الأنوار أقسامٌ: منها ما يكشف به ومنها ما يغاب فيه، إلى آخر أقسامها.

ثُمَّ قَالَ: (يَا حَفِيظُ) من أسمائه تعالى أيضًا، وهو الذي يحفظ عباده من الآفات ولا يشغله حفظ أحد عن أحد، فجَلَّ من وَهَّاب الهبات. ثُمَّ قَالَ: (يَا كَرِيمُ) هو ذو الجود رفيع القدر الذي لا يرد سائلاً، وله الصفات الحسنى من كل وجه.

ثُمَّ قَالَ: (يَا وَهَّابُ) وهو المُتفضِّل مِن غير عِوَض ولا طلب، يهب من خزائن كرمه البركات والخيرات، فكأنه يقول: يا حفيظُ احفظني بِسِرِّكَ الأزَلِي، وأكرمني من خزائن كرمك الأبدي، وتفضَّلْ علَيَّ من مواهب جودك السرمدي.

(وَهَبْ لِي) وهو فعل طلب أَيْ: بأن تُصلحنِي إصلاحًا يحصل لي به (مِنْ نَفْسِي) الذي إذا صلحت تكون هي حضرة قُدْس، وذلك (فُرْقَانًا أَهْتَدِي بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ الكَوْنِيَّةِ) أَيْ: نُورًا أفرق به بين الحق والباطل، إذا أراد اللَّه بعبده خيرًا جعل له واعظاً من قلبه يأمره وينهاه، ومقصوده أن ينال سِرًّا نورانيًّا، إذا وصل لكشف الكائنات يكون محركه عنها لئلا يقف مع زينتها. كما قال ابن الفارض:

قَالَ لِي حُسْنُ كُلِّ شَيْءٍ تَجَلَّى بِي تَمَلَّى فَقُلْتُ قَصْدِي وَرَاكَا

(وَارْزُقْنِي الاطْمِئْنَانَ) فعل وفاعل ومفعول أَيْ: حقِّقني بالسكينة في قلبي حتى لا ألتفت لشيء من الحركات الكَوْنِيَّة، واجعلْ ذلك بذكرك الموهوب للقلوب، إذ اطمئنانها به كما قلتَ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨] نعم إذا وصلَ نور المحبوب إلى سِرِّ العبد صار الذكر عنده هو المطلوب، والذكر هو مفتاح الأبواب ومحل وصال الأحباب. رَحِمَ اللَّهُ بعضهم حيث يقول:

والذكر أعظم باب أنت داخله للَّه فاجعلْ له الأنفاس حراسا

والقلب أفضل بيت فيه تذكره فكُنْ له في جنان القلب غراسا

ورَحِم اللَّه بعضهم حيث يقول: عليك بذكر اللَّه في السِرِّ والجهر. فأسألك ذلك (يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ) لا: نافية، تأخذ: فعل مضارع، والهاء: ضمير يعود على اللَّه. (سِنَةٌ) السِّنة: ما يتقدَّم النوم من النعاس. كقول عَديّ:

فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

(وَلَا نَوْمٌ) النوم: حالة تعرض للإنسان من استرخاء أعصاب الدماغ بسبب رطوبات الأبخرة المُتصاعدة، فتمنع الحواس الظاهرة عن الإحساس. كما عرَّفهُ الأطباء. فاللَّه سبحانه مُنزَّهٌ عن ذلك.

وهو (عَلَّامُ الغُيُوب)، قال سَيِّدُنَا عيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾[المائدة: ١١٦]، فسبحانه يعلم السِرّ وأخفى، ويعلم ما فوق السماوات وما تحت الثرى، لا تخفى عليه خافية، فنسألهُ أن يعطينا من أسراره ما نحصّل به مراتب خواص أحبابه آمين.

(وَعَرِّفْنِي) تعريف علم وعمل وتحقُّق (بِالعُلُومِ) الإلهيَّة كلها، وحقيقتها لا يحصرها إلا اللَّه، فنقول: عبارة جامعة للعلوم الظاهرة والباطنة، فالظاهرة كتاب وسُنَّة ومعرفة أحكام شرعيَّة، وأدلّتها الباطنيَّة ما يرد على قلوب الأولياء من الإلهامات المُشار إليها بـ«اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»[٦٢]، ومشهده ذلك من باطن مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُتحقِّق بالعبودية لمولاه، (الكَمَالِيَّةِ) وقد مَرَّ التعريف، ومقصوده القدم المُحمَّدِيّ عِلمًا وعملاً حتى يكون داخلاً لأسرار القُطْبانِيَّة والمراكز الجماليَّة والجلاليَّة الكبريائيَّة العظيمة.

(حَتَّى أَكُونَ) حتَّى: ناصبة، أكونُ: فعل مضارع منصوب بِأن مُضمرة بعدها. (وَارِثًا لِلحَضْرَةِ الأَحْمَدِيَّةِ) قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»، ومثَّلهم في قولِهِ: «كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»، والمقصود بهم الجامعُون للشريعة والحقيقة، القائمون على القدم المُحمَّدِيّ، فإنهم في أذواقٍ عظامٍ خاضوا بحارًا عظيمات بالخلع

(٦٢) أخرجه البخاري في "تاريخه" والترمذي والطبراني والسمرقندي في "تفسيره" وأبو نعيم والقضاعي والبيهقي والخطيب.

المُحمَّدِيَّة، وأُعطُوا هبات بواسطتها بهيَّة، فطلب هذا القدم الذي إذا قام فيه يكون إمامًا أعظم وغوثًا أفخم، فيُعرف في العوالم ويُشهد للمعالم.

قالَ أبُو حامِد الغَزَّالِيّ: رَأَيْتُ مُوسَى عَلَيْه السَّلَامُ فَقَالَ لِي: ما اسمك؟، قال: فقلتُ: مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، قَالَ: سألتك عن اسمك فأجبتني عن اسمِكَ واسم أبِيكَ وجدِّكَ، فقال له الغَزَّالِيُّ: أنت قال اللَّهُ لكَ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ فقُلْتَ: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[طه: ١٧-١٨]، فكان يكفيك هي عَصَايَ، فقال لهُ: صدقَ نَبِيُّكُم حيثُ قالَ: «عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ».

(سُبْحَانَكَ أَنْتَ اللَّهُ تَعَزَّزْتَ بِالوَحْدانِيَّةِ) فجليت يا مَنْ انفردت بتَجَلِّيَاتٍ مِنكَ لكَ، وبذلك تعزَّزتَ فلم يعلمها أحدٌ غيرك، وأبرزتَ منها أحمد عبدك، فلم يشاركه في ذلك إِنْسٌ ولا مَلَك، فالأحديَّة حضرة فيها يتجلَّى الحَقّ لنفسه، والوحدانِيَّة تَجَلِّيه لِنَبِيّه، والفردية تَجَلِّيه لعباده.

تنبيه:

الحضراتُ تجمع المقامات والمنازل، فالمنزل كناية عن مشهد يشهد العبد فيه تجَلِّي الحق ولا يطول، فيجد فيه من العلوم والأسرار ما شاء اللَّه، وكل منزل بحسب تَجَلّ من اسم.

والمقام: كناية عن موضع يطول فيه العبد فيشهد أنواعًا من الكائنات وأنواعًا من علومها، ويشهد مقامات الرجال وأسرارهم، فالمقام كَوْنِيّ والمنزل إِلهِيّ، المقام صَحْو والمنزل مَحْو.

والحضرات تجمع جُملة منازل بحسب تجَلِّيَاتها، فكل حضرة لها منازل كثيرة بحسب تجَلِّيَاتها ومشاهدها، ولكن ليس لكل تجَلّ منزل خاص بدليل المنزل يجمع تَجَلِّيات جماعة، كما أن الحضرة تجمع منازل جَمَّة.

وأما المقام فنسبته إلى الحضرات نسبة لإمدادها لها واستمدادها منها، فكل مقام مُستمد من وجه من آحاد ووجوه من حضرة ونسبته إلى الحضرة، إلا أن إمدادها إليه أكثر من غيرها من الحضرات، وإلا فالمقام يستمد من حضرات مُتعدّدة كما أن الحضرة تمدّ مقامات جماعة، تأمَّلُوا هذه العبارة فلعلكم لا تجدوها لغيرنا، واللَّه يتولَّى هُدَانا وهُدَاكم.

(لَكَ) يا مَنْ أنتَ المُستحَقُّ (الحَمْدُ) والحمدُ هو: الثناء باللسان على الجميل الاختياري، وعندنا هو: زيادة التحقُّق بالعبودية، (كَمَا يَنْبَغِي) أَيْ: تطلب بحسب إهداء نعمك التي لا تحصى وآلائك التي لا تنقضي، وذلك (لِصِفَاتِكَ) على قدر بقدر إمدادها وكثرة إسعادها (العَلِيّةِ) وصفاتك هي المُحقَّقة بالعلو قدرًا، وغيرها وإن نال العلو فهو مجاز.

(﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إِلَى ﴿تُخْرَجُونَ﴾[الروم: ١٧-١٩]). قَالَ بعضُ المُفَسِّرين: هذه الآية إشارة للأوقات الخمسة، وأتى بهذه الآيات الحاوية للتسبيح العظيم كأَنَّ مقصوده التسبيح، ولا أعظم من التسبيح الذي هو في القرآن الكريم.

ثُمَّ قَالَ تسبيحًا آخر وهو من أعظم الآيات والتحكيم: (﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾[الصافات:١٨٠]) أَيْ: الغلبة التي لا يصادمها أحد، (﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الصافات:١٨٠]) نَزَّه الكبير نفسه عما يصفه به الكفار مما لا يليق به جلَّ وعَزَّ، إذ هو الواحد الأحد المُستغني عن الصاحبة والولد، وتقول من أسراره لأنه نزَّه نفسه عن أوصاف عباده العارفين من حيث تجَلِّيَات ذاته عن أنهم نالوا الشهود الكنه الجلالي، واعرف الحق معرفة تليق بأنواع تجَلِّيَات الكمال، لكن قال: (﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[الصافات:١٨١]) فإنه عرفوا معرفة تفيد لكمال الأدب مع النبيين

فكثرت عبادات الأولياء المُستغرقين وقلَّت شطحات الأنبياء والمُرسلين، فتراهم حفظوا أسرار الغايات وبلَّغُوا الشرائع بإثبات، فالشكر لهم على تلك المزيات.

(﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات:١٨٢]) الذي مَنَّ عليهم بذلك التمكين، ودمَّر بهم الكُفَّار وأظهر بهم الدين.

قال في "حلية الأبرار" عن علِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى فَلْيَقُلْ فِي آخِرِ مَجْلِسِهِ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ إلخ». ذكرهُ النَّوَوِيُّ.

ثُمَّ قَالَ: (سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ) ثواب هذه الصيغة وفضلها لا يعد ولا تبلغ نهايته، فهي من الكنوز.

ثُمَّ قَالَ: (سُبْحَانَ اللَّه مِلْءَ الميزَانِ وَمُنْتَهَى العِلْمِ وَمَبْلَغَ الرِّضَى وَزِنَةَ العَرْشِ) ذكَر سَيِّدي عبد اللَّه المِيرغَنِيّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَفْسحَ اللَّهُ لَهُ فِي أَجَلِهِ، وَيَنْصُرَهُ عَلَى عَدُوِّهِ، وَيُوَسِّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُوَقَّى مِيتَةَ السَّوْءِ فَلْيَقُلْ حِينَ يُصْبِح وَحِينَ يُمْسِي ثَلَاث مَرَّاتٍ: سُبْحَانَ اللَّه مِلْءَ الْمِيزَانِ»[٦٣] إلى آخر الصيغة.

(٦٣) أخرجه الديلمي في "مسند الفردوس".

ثُمَّ قَالَ: (سُبْحَانَ الدَّائِمَ القَائِمِ سُبْحَانَ القَائِمِ الدَّائِمِ، سُبْحَانَ الحَيِّ القَيُّومِ، سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّه العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانُ المَلِكِ القُدُّوسِ، سُبْحَانَ رَبِّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ) وورَدَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»[٦٤].

وقال: يُقرأ في راتب الصبح: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهًا وَاحِدًا أَحَدًا فَرْدًا صَمَدًا، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)، ذكَرَ الجَدَّ سَيِّدي عَبْد اللَّه المِيرغَنِيّ في كتابه "جواذب القلوب": أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ -إِلَى آخِرِ الصِّيغَةِ- كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ حَسَنَةٍ»[٦٥].

ثُمَّ أتى ببعض أدعية من السُّنَّة ليظهر كمال المِنَّة فقال: (رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا) انظر لرضائه بربوبية الذات العلِيَّة، فإنه يفهم كمال العبودية. (وَبِالإِسْلَامِ دِينًا) الإسلام أركانه خمسة، حقيقتهُ: الاستسلام والانقياد والإذعان، وهو يعم أعلى المقامات وأدناها، ويحوز من الخيرات مبتداها ومنتهاها، ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ إِلَى ﴿مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢]،

---

(٦٤) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه والترمذي والنسائي والبيهقي.

(٦٥) أخرجه أحمد والبخاري في "تاريخه" والترمذي والطبراني وأبو نعيم.

إني وأنتم راضون بكل ما يصدر من الحضرات العَلِيَّة، بل كأنه مطلبكم فهذه المشاهد السنِيَّة.

(وَبِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَرَسُولًا) السَّيِّدُ: مَنْ سادَ قومه، ومُحمَّد: مُشتقٌّ من الحمد، والصَّلاةُ: من اللَّه رحمة ومن الملائكة والمؤمنين دعاء، والسلام اسم من التسليم وهو الأمان، والنَّبِيُّ: مأخوذٌ من النبأ وهو الإخبار، وتعريفه: إنسان ذَكَرٌ حُرٌّ عاقلٌ أوحى اللَّه إليه بشرع يعمل به، وإن لم يُؤمر بتبليغه، والرسول تعريفه: كالنَّبِيّ إلا أنه أُمِر بتبليغ شرعه، ويجب لهم الصدق والأمانة والتبليغ، ويستحيل عليهم الكذب والخيانة وكتمان شيء مما أُمِرُوا بتبليغه، ويجوز في حقهم الأكل والشرب والجماع، وهذه المباحث في كتب التوحيد، راجِعها إن أردتها بكمالها.

واعلموا أن الحديث أصله «وَبِمُحَمَّدٍ» بدل «سَيِّدِنَا»، وإنما سَيِّدنا من زيادة المُؤَلِّف تأدُّبًا، ولما وصل عند نَبِيًّا رأَى المُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: «وَرَسُولًا».

وقد ورد في فضل هذه الألفاظ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا»[٦٦]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ

(٦٦) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي والبزّار والطبراني والبيهقي والديلمي.

حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[٦٧].

(يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) أَيْ: ثَبِّتْ قلبي على الدين الخالص، لأن القلب له تقلُّب ومغاصّ، «كَانَ كَثِيرًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَدْعُو فِي سُجُودِهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ »[٦٨]. ومن أَيْمَانِهِ: «لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ »[٦٩] فنسأل اللَّه الثبات إلى ما بعد الممات، بحَقِّ سَيِّدنا مُحمَّد كامل الهبات، آمين.

ثُمَّ قَالَ: (يَا وَلِيَّ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنِي بِهِ حَتَّى أَلْقَاكَ) هذه الصيغة لها مزية حفظ الإيمان وجزيل الثواب.

ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ) أَيْ: يا اللَّهُ مُنَّ بخيرٍ، والجَمْعُ بينهما في قريض الشعر شاذ، وقد جعلت غالبًا في أَوَّل الأدعية وهي جديرة بذلك، لما تضمَّنتهُ من أعظم الثناء للمالك. قال الطليوسي: الميم في كلام العرب من علامات الجمع، فزيدت في آخر الاسم لِتُشعر بأنه قد اجتمعت فيه أسماء اللَّه كلها.

---

(٦٧) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي والنسائي والطبراني وابن السني والحاكم.

(٦٨) أخرجه أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" وابن ماجه والترمذي والنسائي والطبراني والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر.

(٦٩) أخرجه البخاري وأحمد ومالك وابن ماجه وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي.

(مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْر) الإصباح عندنا بحسب الأذكار: من الفجر إلى المغرب، والمساء تقول بدل أصبح أمسى. والمساء عندنا: من المغرب إلى الفجر، وفيهما خلاف، فكأنه شكَرَ الحَقّ على جميع ما أسداه إليه من النعم وما أسداه إلى خلقه.

وَرَدَ: أَنَّهُ مَنْ قَالَهُ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ «فَقَدْ حَمِدَ اللَّهَ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ». وفِي "الْحِلْيَةِ": «مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ صَبَاحًا فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ مَسَاءً فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ» كَمَا وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اهـ.

ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْكَ فِي نِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ وَسِتْرٍ، فَأَتِمَّ نِعْمَتَكَ عَلَيَّ وَعَافِيَتَكَ وَسِتْرَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) هذه الصيغة من أعظم الأدعية في حفظ جميع النعم.

(﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]) إلى آخر السورة، هذه الآية أعظم آيات التحصين، وقد تَقدَّم الكلام على الرسول، وقرأ بعضهم وهو شَاذٌّ بفتح الفاء، وفي الآية من الأسرار المُبشرّات لشأن النَّبِيّ المختار.

(يَا اللَّهُ) أتى باسم الذات لأنه أعظم الأسماء الإلهيَّات، والكثير قائلون: إنه الاسم الأعظم، فكأنَّهُ يقولُ: يا مَنْ هُو الحَقُّ الجامع لصفات الأُلوهِيَّة المنعُوت بنُعوت الربوبِيَّة، والألف إشارة لحضرة الذات واللام الأولى للاهُوت واللام الأُخْرى للأزل والهاء للهوية.

(يَا وَدُودُ) الوُدُّ: نوعٌ من المحَبَّة، فطلب أن يتودَّدَ إليه مولاه فيدنيه من حماه، والواو الأولى إشارة للوصول، والدال إشارة للدُنُوّ من حضرة المُتعال، والواو الأُخْرى إشارة للوصول، والدال إشارة لدفع الحُجُب عن البصيرة بفضل الوالِي.

(يَا حَقُّ) حقِّقني بسِرِّك الكمال، وقرِّبني لشهود تَجَلِّيك الجمال، آمِينَ، (إِحْدَى وَعِشْرِينَ) «إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»(٧٠).

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِ اللَّهِ الْعَظِيمِ) نور الجمال غيب أهل الوصال، (الَّذِي مَلأَ أَرْكَانَ عَرْشِ اللَّهِ الْعَظِيمِ) فببركة نور الوجه امتلأ العرش والفرش، (وَقَامَتْ بِهِ عَوَالِمُ اللَّهِ الْعَظِيمِ) قيام الكائنات من نور واهب العطيات، (أَنْ تُصَلِّي عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ ذِي الْقَدْرِ الْعَظِيمِ) طلب بنور الوجه القديم الصَّلاة على النَّبي الكريم، (وَعَلَى آلِ نَبِيِّ اللَّهِ الْعَظِيمِ) والآل: ذُريته، وهنا يدخل مَنْ قام على قدمه، وللفقهاء كلامٌ فراجعه في مظانِّهِ.

---

(٧٠) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني والحاكم وأبو نعيم والبيهقي.

ثم سأل أن تكون الصَّلَاة (بِقَدْرِ عَظَمَةِ ذَاتِ اللَّه الْعَظِيمِ) فلا يعلم مقدار ذلك إلا العليم، (فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَد مَا فِي عِلْمِ اللَّه الْعَظِيمِ) سأل أن يكون ذلك المقدار في كل اللمحات والأنفاس، فمَنْ يحصر المقدار إلا العزيز الغَفَّار، اللمحة من لمحات اللامحين، ولمح البصر: امتداده إلى الشيء، والنَّفَس: هو الريح الداخل والخارج في البدن من الفم والمنخر وهو كالغذاء للنفس، وبانقطاعه يكون زهُوقًا.

(صَلَاةً دَائِمَةً بِدَوَامِ اللَّه الْعَظِيمِ) وسأل أن تدوم الصلاة بدوام اللَّه، فلا انقضاء لهذه الصلاة، وتاللَّه (تَعْظِيمًا لِحَقِّكَ يَا مَوْلَانَا يَا مُحَمَّدٍ يَا ذَا الْخُلُقِ الْعَظِيمِ) وسَلِّم عَلَيْهِ وعلى الرسل، وكل ذلك مقصوده أن يكون تعظيماً لقدر المُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد وصفه اللَّه فثبت ذلك بقولِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»(٧١).

(وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، كَمَا جَمَعْتَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ) حتى أفنى فيه وفي حضرة الأُنْس، فمُنَّ عَلَيَّ بذلك (ظَاهِرًا وَبَاطِنًا يَقَظَةً وَمَنَامًا، وَاجْعَلْهُ يَا رَبِّ رُوحًا لِذَاتِي مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ يَا عَظِيمُ) سأل الجمع للروح دائمًا يقظةً ومنامًا ظاهرًا وباطنًا، دُنيا وأُخْرى. وهذه الصلاة العظيمة من الطُّرُق التي يسلك بها المهدي المُنتظر، كما ذَكَر

(٧١) أخرجه مسلم وأحمد والبخاري في "الأدب المفرد" والطبراني وعبد الرزاق والحاكم والبيهقي.

بعضُ العارفين، ولا نجد صلاة أعظم منها، اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِهَا وبمُؤَلِّفِها آمين.

ثُمَّ قَالَ: (صَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَجَمِيعِ خَلْقِهِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ) رُوِيَ عَنْ سَيِّدِنَا الْإِمَامِ عَلِيٍّ: «أَنَّ مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ بِهَذِهِ الْكَلِمَات فَقَدْ صَلَّى بِصَلَاةِ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ»[٧٢].

ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِقَدْرِ عَظَمَةِ ذَاتِكَ يَا أَحَدُ) وثواب هذه الصيغة لا يُحْصَى.

ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ) تقدَّم الكلام عليها، (صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى الرَّسُولِ الأَمِينِ) تقدَّم الكلام على الصَّلَاة والسَّلَام والرَّسُول، والأمين من أسمائه وكان يُدعى به قبل النُّبوة، ومن شروطها (الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِي حَقِّهِ المَلِكُ المُبِينُ) والمِلَك هو المُتصَرِّف في خَلْقِهِ بالأمر والنهي وغيرهما، قَالَ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾[غافر: ١٦] الحقيقي أَوَّلاً وآخرًا له، والمُبين هو المُظهر أنواع تعاريف العالم، فجَلّ من مَلِك حاكم.

(﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧])، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[٧٣] وأَيّ رحمة أعظم من كونه بإمداده يحفظ لنا الإيمان.

---

(٧٢) ذكره ابن منظور في "مختصر ابن عساكر" وعزاه السخاوي في "القول البديع" لأبي موسى المديني.

(٧٣) أخرجه مسلم والبخاري في "الأدب المفرد" والبزار وأبو يعلى والطبراني والبيهقي وابن عساكر.

(عَدَدَ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ) طلب أن يكون العدد، بقدر مَنْ أُرسِل إليهم، قَالَ عَلِيّ: «أُرْسِلَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ حَتَّى إِلَى الْأَسْوَد وَالْأَحْمَر»[٧٤]، (وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ بِرَحْمَتِهِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبّ العَالَمِينَ آمِينَ) هذه الصلاة ألهمت أنها طريقة مُستقلّة بعددها.

تقدَّم الكلام على الآل، والصحب والصَّحَابِيّ: هو مَنْ لقي النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤمِنًا ومات على ذلك. والتَّابِعيّ: مَنْ لقي الصَّحَابِيّ مُؤْمِنًا ومات على ذلك، وكونه أرحم الراحمين لا يخفى، والعالَمُ: ما سوى اللَّه، وأتى بالتَّأمِين رجاءً لقبُول الصَّلَاة، (ثَلَاثًا) اختار التثليث في كثير الدعاء والصلاة لما ورد في السُّنَّة من تثليث بعض الأدعية، وكونه وترًا «وَاللَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ».

(اللَّهم صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ) تقدَّم الكلام على جميع ذلك، والمولى هو الناصر، (عَدَدِ كُلِّ ذَرَّةٍ) الذَّرَّة في اللُّغة: النملة الصغيرة التي كُلّ مائة منها زنة حبة شعيرة، كما في "القامُوس".

واعلم أن مراده هنا الجُزء الذي لا يتجزأ من جميع العوالم الحسية والمعنوية الظاهرة والباطنة المعلومة وغير المعلومة، فعلى هذا يدخل فيه عوالم القضية التي ذكر فيها العالم الربّاني سَيِّدي عبد القادر الجيلَانِيّ، قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ الصَّمَدانِيّ: أن لها ستة عشر عالمًا

(٧٤) أخرجه البيهقي وابن عساكر.

الدنيا والآخرة عالم منها، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٨]. قال العارف الرّفَاعِيّ: لا يكمل الرجل عندنا حتى يعرف ثمانين ألف أُمَّة الدنيا والآخرة عالم منها، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال مُؤَلِّفُ هذه الصَّلَاة الجَدُّ الوليّ الواصل القُطْب الفرد سيدي عبد اللَّه المِيرغَنِيّ في "حاشيته على راتبه المُسَمَّى بالكوكب" في كلامه على هذه الصلاة: يقول الفقِيرُ كان لِي ولهُ الكبير: إن للعرش لأسماء وهو عرش العرش الأحمى وهو المحيط بفلك دائرة الإحاطة العظمى، وهو عرش الرحمانية وهي الحقيقة المُحمَّدِيَّة، والعرش في ذاك العرش كحلقة مُلقاة في فلاة، فهل يحيط بعوالم العرش الأفخر إلا المُحِيط الأكبر؟، فكل أجزاء هذا العالَم يشملها الجزء في الصَّلاة على سيد العالم، فهي الجديرة بأن تُسمَّى الكبريت الأحمر والإكسير، وكَمْ في صغير ما لم يكن في كبير، وللَّه دَرُّ الجَدّ العلِيّ سَيِّدنا الإِمَام عَلِيّ، حيث يشير لمثل هذا المعنى بقوله في الإنسان:

وَتَحْسِبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ وَفِيك انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ

قَالَ: (أَلْفَ أَلْفِ كَرَّةٍ) والكَرَّة: مائة لَكّ بفتح اللام وتشديد الكاف واللَّكّ: مائة ألف.

ثُمَّ قَالَ: (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامّاتِ) قيل: هي القرآن العظيم، (كُلِّهَا) أَيْ: جميعها، (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) وردَ: «أَنَّ مَنْ قَالَ هَذِهِ الصِّيغَة حِينَ يُمْسِي ثَلَاث مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، وَكَذَلِكَ مَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ»(٧٥).

وكذلك وَرَدَ في الصِّيغَة الآتية وهي: (بِسْمِ اللَّه الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) وقد روى الجَدُّ في "الجواذب" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَمَالِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ كُلَّ يَوْمٍ إِذَا أَصْبَحَتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: بِسْمِ اللَّهِ عَلَى دِينِي وَنَفْسِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَمَالِي، فَإِنَّهُ لَا يَذْهَبُ لَكَ شَيْءٌ. فَكَانَ كَذَلِكَ»(٧٦).

ثُمَّ قَالَ: (أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللَّه) هذا الذكر من أعظم الأذكار الموصلة إلى حضرة الغَفَّار، تلقَّيتهُ عن الأُستاذ العارف باللَّه تعالى شَيْخِنا السَّيِّد أحمد بن إدريس عام ألف ومائتين وتسع وثلاثين، وفضل هذا الذكر وثوابه لا يُحصى.

---

(٧٥) أخرجه مسلم وأحمد ومالك وابن ماجه وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني والحاكم وأبو نعيم والبيهقي.

(٧٦) أخرجه ابن عساكر.

وقد وردَ: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِإِسْرَافِيلَ: إِذَا سَمِعْتَ قَائِلاً يَقُولُ: لَا إِلَه إِلَّا اللَّه، فَأَخِّرْ النَّفْخَة أَرْبَعِينَ عَامًا إِكْرَامًا لِقَائِلِهَا»(٧٧) إِلَى غير ذلك من الأخبار التي لا تُسْتَقْصَى.

ثُمَّ قَالَ: (أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[الحشر: ٢٢] إِلَى آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ) أخرج الترمذي عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ، وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا».

ثم ختَمَ بسُوَرٍ من القُرآن عظيمات فقَالَ: (تَقْرَأ سُورَة الزَّلْزَلَةِ مَرَّتَيْنِ) وردَ في الحديث: أَنَّ مَرَّةً مِنْهَا «تَعْدِلُ نِصْفَ الْقُرْآنِ»(٧٨)، فالمَرَّتَيْن بختمة. (وَسُورَة الكَافِرُونَ أَرْبَعًا) وردَ: أَنَّ مَرَّةً مِنْهَا «تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ»(٧٩)، فالأربع بختمة. (وَالإِخْلَاص ثَلاثًا) وردَ: أَنَّ الثَّلَاثَةَ «تَعْدِلُ الْقُرْآنَ»(٨٠).

---

(٧٧) أخرجه الترمذي والحاكم والبيهقي.

(٧٨) أخرجه الترمذي والحاكم والبيهقي.

(٧٩) أخرجه الترمذي والحاكم والبيهقي.

(٨٠) أخرجه الترمذي والحاكم والبيهقي.

فتحصل من الحزب أن من قرأه كأنما قرأ القرآن سبع مرات، إذ الفاتحة في أوَّلِهِ مَرَّة، وفي آخره خمسًا، الجميع ستة، وكل مَرَّة منها تعدل ثُلُثَيْ القرآن، فتحصل من الست فواتح أربع ختمات، ومن الزلزلة والكافرون ختمتَيْن، ومن الإخلاص ختمة، فالجميع سبع ختمات من غير الزيادة. فانظر لعظمته واجتهد وفَّقنا اللَّه وإِيَّاك، آمين.

(وَالمُعَوِّذَتَيْن مَرَّةً مَرَّة)، وقد وَرَدَ[٨١] أن قراءة الإخلاص ثلاثًا معهما عند النوم من أعظم التحصين وفيها حفظٌ من الآفات، وكفاية لجميع المُهِمَّات.

ثُمَّ قَالَ: (سُبْحَانَ اللَّه وَالحَمْدُ للَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَاللَّه أَكْبَرُ، عَدَدَ خَلْقِ اللَّه وَرِضَا نَفْسِ اللَّه وَزِنَةَ عَرْشِ اللَّه وَمِدَادَ كَلِمَاتِ اللَّه) وقد ورَدَ في فضائلها أحاديث كثيرة: منها ما رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ أَفْضَلُ الْكَلَامِ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ ابْتَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ»[٨٢].

---

(٨١) ولفظه كما في "الترمذي": «كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إلى فِراشِهِ كُلَّ لَيْلةٍ جَمَعَ كَفَّيهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقرأ فِيهما: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، ثُمَّ يَمْسحُ بِهما مَا اسْتطاعَ من جَسدِهِ، يَبْدأُ بِهما على رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَما أَقْبلَ من جَسدِهِ، يَفْعلُ ذلكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ».

(٨٢) أخرجه مسلم وأحمد وابن ماجه والنسائي وابن حبان والطبراني والبيهقي.

وقد ورَدَ أيضًا: أَنَّ هَذِهِ الصَّيغَة «فِي ذَنْبِ المُسْلِمِ مِثْلُ الآكِلَةِ فِي جَنْبِ ابْنِ آدَمَ»[٨٣]. وهي غراس الجنة يغرس لك بكل كلمة شجرة في الجنة، وقد وَرَدَ: «أَنَّ الْخَلِيلَ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ أَنْ يَأْمُرَ أُمَّتهُ بِالإِكْثَارِ مِنْهَا»[٨٤]. إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في فضلها.

ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ يَا دَائِمَ الفَضْلِ عَلَى البَرِيَّةِ إلخ) أخرج الجَدُّ في "الجواذب" عن سَيِّدِنَا عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: «أَنَّ مَنْ قَالَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ عَشْر مَرَّاتٍ: اللَّهُمَّ يَا دَائِمَ الْفَضْلِ عَلَى البَرِيَّةِ -إِلَى آخِر الصِّيغَةِ- كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ مِائَةَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ دَرَجَةٍ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ زَاحَمَ سَيِّدنَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيل فِي قُبَّتِهِ»[٨٥]. ورُوِيَ: «أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَكْتُبُ لَهُ ثَوَابهَا مِنَ الجُمُعَةِ إِلَى الجُمُعَةِ»، إلى غير ذلك ممَّا وردَ في فضل هذه الصيغة.

ثُمَّ قَالَ: (يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ مائِةً وَسبْعَ مَرَّاتٍ) هو الموصوف بالصفات الأزلية الأبدية الدائمة البقاء الذي لا سبيل عليه، والقَيُّوم: القائم بالأمر المُدبّر لخلقه الحفيظ، وقد قال كثيرٌ: إنهما الاسم الأعظم وفيهما سِرّهُ.

---

(٨٣) أخرجه الديلمي في "مسند الفردوس".

(٨٤) ولفظه كما في "الترمذي": «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ».

(٨٥) ذكره السخاوي في "القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع" وعزاه لأبي موسى المديني.

ثُمَّ قَالَ: (الفَاتِحَةُ لِقُطْبِ أَهْلِ الوِصَالِ) إلخ: هنا مباحث للعلماء فمنهم مَنْ قال بكراهة الفاتحة للنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وردَّ عليهم آخرون: بأنها من قبيل الصَّلَاة على النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنهم قالوا: إن الموجب للكراهية كونه كاملاً والكامل لا يطلب له الزيادة. وقال آخرون: الصَّلاة لماذا جوزت وأمر بها، مع كونها تحصل منها الزيادة، واختلاف العلماء في هذا البحث كثير.

واختلف هل ينتفع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدعاء أُمَّتِهِ له؟، نقل أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزيده اللَّه رفعة بدعاء أُمَّتِهِ وبصلاتهم عليه، وفي ذلك خلاف، والصحيح أن الأنبياء ينتفعون بدعاء أُمَمهم لهم، لأنهم محتاجون إلى اللَّه، والفاتحة من قبيل الدعاء، فراجعه في مظانِّهِ.

واعلم أن شدَّة الاختلاف بينهم في أُمُورٍ لا تظهر، انظر إلى الفاتحة بعينها يقول الشَّافِعيّ فيها: إنها واجبة في الصَّلَاة فلو نقص منها حرف بطلت صلاته عنده، وعند أبي حنيفة تكره للمُؤتَمّ كراهة تحريم، فتأمَّلْ لهذا الفرق. وأما عند الصُّوفِيَّة فهي من أعظم الأركان في أذكارهم وأحزابهم، حتى إن سَيِّدي مُحيي الدِّين ابن العَربي جعل فاتحة في أول حزبه للمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك الجَدّ

وضع في أَوَّل فواتح راتبه، وفي آخرها فواتح للنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فراجِع "حاشيته".

ثُمَّ قَالَ: (الفَاتِحَةَ لِسَائِرِ قَادَاتِنَا أَهْلِ النِّيَابَةِ وَجَمِيعِ سَادَاتِنَا الأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ وَيَقْرَؤُهَا سِرًّا) فكُلهم نُوَّاب المُصْطَفى ما عدا أن الأنبياء أصل، قال بعضُ العارفين: يا سَيِّدَ الرُّسُل وهُمْ نُوَّابُهُ.

ثُمَّ قَالَ: (الفَاتِحَةَ لِجُمْلَةِ أَئِمَّتِنَا الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ سَادَاتِنَا وَمَوَالِينَا أَبِي بَكْرٍ) هذا كُنيتهُ واسمه عبد اللَّه، وفضائله أشهر من أن تُذكر، وهو أَوَّلُ مَنْ آمن من الرجال وأول الخلفاء، ويجتمع نسبه مع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحد أجداده.

(وَعُمَرَ بن الخَطَّاب) وهو الثاني من الخلفاء، ومناقبه أشهر من أن تُذكر، فهو ناصر الإسلام وصاحب الفتوحات وَقَّاف عند الحق، وقد وردَ فيه: «أَنَّهُ سِرَاجُ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[٨٦]، ويجتمع نسبه مع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحد أجداده.

(وَعُثْمَانَ) ويُلقَّب بذي النُّورَيْن لكونه تزوَّج ابنتَيْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُقية وأم كلثوم، وفضائله أشهر من أن تُذكر، فقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقًا وَرَفِيقِي عُثْمَانُ»[٨٧]،

---

(٨٦) أخرجه أحمد في "فضائل الصحابة" وأبو نعيم في "فضائل الخلفاء" والخطيب والديلمي وابن عساكر.

(٨٧) أخرجه أحمد في "فضائل الصحابة" وأبو نعيم في "فضائل الخلفاء" والبزار والخطيب وابن عساكر والطبراني.

وَقَالَ أَيْضًا: «عُثْمَانُ حَيِيٌّ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»(٨٨)، ويجتمع نسبه أيضًا مع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جَدٍّ له.

(وَعَلِيّ) بن أبي طالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكُنيته أبو تراب وأبو الريحانتَيْن وأبو الحسن، ويُلقَّب بالصِّدِّيق الأكبر، وهو أوَّل مَنْ أسلم من الصبيان، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فلم يسجد لصنم قط.

شهِد المشاهد كلها مع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا غزوة تبوك، كان خلَّفهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَتُخَلِّفُنِي عَلَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»(٨٩)، وقَالَ أيضًا: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»(٩٠)، وقَالَ أيضًا: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا»(٩١)، إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في فضائله.

ثُمَّ قَالَ: (وَالحَسَن) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أبو مُحمَّد الحسن بن علِيّ بن أبي طالب، كنَّاهُ وسمَّاه بذلك النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رُوِيَ: «أَنَّهُ رَقَى الْمِنْبَرَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، فَأَمْسَكَهُ وَالْتَفَتَ إِلَى النَّاسِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ

(٨٨) أخرجه مسلم وأحمد في "فضائل الصحابة" والبخاري في "الأدب المفرد" والطبراني والديلمي وابن عساكر.
(٨٩) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه والترمذي والنسائي والطبراني والحاكم وأبو نعيم والبيهقي وابن عساكر.
(٩٠) أخرجه أحمد والبخاري في "تاريخه" وابن ماجه والنسائي والطبراني والحاكم وأبو نعيم والبيهقي.
(٩١) أخرجه أحمد والترمذي والطبري والخطيب والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر.

يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ »[٩٢]، فكان كذلك، فإنه بُويع له بالخلافة ومكث ستة أشهر، ثم سَلَّمها لمعاوية زُهَدا وصيانة لدماء المسلمين، ومناقبه أشهر من أن تُذكر.

(وَالحُسَيْن) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أبو عبد اللَّه الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب، وورَدَ في فضله وفضل أخيه الحسن أحاديث جَمَّة: منها قولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي »[٩٣]، وَقَالَ أَيْضًا: «أَحَبُّ أَهْل بَيْتِي إِلَيَّ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ »[٩٤]، وَقَالَ أَيْضًا: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ »[٩٥].

والحاصلُ أن فضلهما والوارد في شأنهما لا يحصر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ونَفَعَنَا بِهِمَا، فإنهما (أَهْلِ الصَّفَا وَالوَفَا).

ثُمَّ قَالَ: (الفَاتِحَةَ لِسَيِّدَتِنَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، سُمِّيت فاطمة لأن اللَّه فطَمَها وذُريتها عن النار، ولُقِّبت بالزهراء لأنها تزهر في الدارين، وقد ورد في فضلها ما لا يدخل تحت حصر، فمن ذلك قولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُغْضِبُنِي مَا يُغْضِبَهَا وَيُبْسِطُنِي مَا يُبْسِطُهَا، وَإِنَّ الأَنْسَابَ تَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَيْرَ نَسَبِي

(٩٢) أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي والبزّار والطبراني والحاكم وأبو نعيم والبيهقي.
(٩٣) أخرجه أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" وابن ماجه والطبراني والخطيب وابن عساكر.
(٩٤) أخرجه البخاري في "تاريخه" والترمذي وأبو يعلى.
(٩٥) أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذي والنسائي وابن حبان والطبراني والحاكم وأبو نعيم والبيهقي والخطيب وابن عساكر.

وَسَبَبِي وَصِهْرِي »[٩٦]، وَقَالَ أَيْضًا: «فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا مَرْيَم بِنْتِ عِمْرَانَ »[٩٧].

وقد ذكَرَ بعضُ العارفين باللَّه أنها ورثت الغَوْثِيَّة والقُطْبِيَّة بعد وفاة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم ينل ذلك غيرها من النساء. «وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ أَوَّل مَا يَدْخُلُ بَيْتَهَا بَعْدَ الْمَسْجِدِ »[٩٨].

وتُرَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في المشاهد والحضرات بجانب سَيِّد السَّادَات، فهي (خِزَانَةِ مَدَدِنَا دُنْيَا وَأُخْرَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، وَجَعَلَنَا فِي الدَّارَيْنِ فِي حِمَى أَبِيهَا وَحِمَاهَا آمِين).

ثُمَّ قَالَ: (الفَاتِحَة لِصَاحِبِ الرَّاتِبِ تَرْجُمَانِ أَهْلِ الإِحْسَانِ وَخَتْمِ أَهْلِ العِرْفَانِ) وإشارة ختم أهل العرفان لمشهد من المشاهد خاص، قيل له: إنه لا يذوقه معك ولِي، والمزية لا تقتضي الأفضلية، وليس يدعي أن ليس بعده ولِي، أو لماذا المُحدِّثُون يقولون خاتمة المُحدِّثين إشارة لكونه تمكَّن في ذلك العلم، حتى كأنه لا يساويه أحدٌ فيه، والحالُ أنه قد يجئ مثله وأعظم منه، وثَمَّ سِرٌّ إِلهِيٌّ فقِفْ ولا تعترض تندم.

---

(٩٦) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والطبراني والحاكم وأبو نعيم.

(٩٧) أخرجه البخاري وأحمد والترمذي والنسائي والحاكم وأبو نعيم والبيهقي وابن عساكر.

(٩٨) أخرجه الطبراني والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر.

والخَتْمِيَّة لها معانٍ: فمنها: خَتْم كُلّ زمان، ذكَرَ سَيّدي عليّ وفا: أن لِكُلِّ زمانٍ خَتْمًا. ومنها: الختم الذي ليس بعده ولي وليس هو المُؤَلِّف، بل هو رجلٌ من الهند. ومنها: خَتْمُ أعلى مقام في الولاية.

(أَبِي مُحَمَّدٍ وَعَبْدِ اللَّه وَجَعْفَرٍ وَالحَسَن) هذه كُنية المُؤَلِّف واسمه مُحمَّد عُثْمَان، ولقبهُ المِيرْغَنِيّ، لُقِّب به جده السَّادس أو السَّابع، وأصله كلمتان: أميرٌ غَنِيٌ، المَكّيّ نسبة إلى بلده مَكَّة المُشرَّفة.

(وَشَيْخِهِ العَارِفِ بِاللَّهِ النَّفِيسِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيس) هو شيخ المُؤَلِّف، وكان راسخ القدم في الولاية وعلوم الظاهر والباطن، فهو البحر الزاخر، فعنهُ حَدِّثْ ولا حرج.

ثُمَّ قَالَ: (الفَاتِحَةَ لِلفَرْدِ السَّنِي وَالقُطْبِ الهَنِي صَاحَبِ السِّرِّ المَوْهُوبِ سَيِّدِي السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّه المِيْرغَنِيّ المَحْجُوب) هو جَدُّ المُؤَلِّف، وكان راسخ القدم في علوم الشريعة والحقيقة، أخذ عنه كبار العُلماء كالسَّيِّد مُرتضى الزبيدِيّ شارح "القَامُوس"، وكراماته كالشمس في كبد السماء، وقد تَرْجَم له صاحب "عجائب الآثار" وذكر كثيرًا من مُؤلفاتهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَفَعَنَا بِهِ.

ثُمَّ قَالَ: (وَابْنِهِ الوَلِيِّ الأَفْخَرِ سَيِّدِنَا السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ أَبِي بَكْر) هذا والِد المُؤَلِّف، وكان من العلماء العاملين الصالحين.

ثُمَّ قَالَ: (الفَاتِحَةَ لِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّه أَجْمَعِيْنَ وَجُمْلَةِ الصَّالِحِينَ المُؤْمِنِينَ) لهم الفاتحة، (وَيَقْرَؤُهَا) قد تقدَّم الكلام على الآل، ثم عَمَّ كُلّ عبد صالح ليتم الاتصال، وأدخل عُمُوم المؤمنين، وذلك من فضل المتين.

ثُمَّ قَالَ: (الفَاتِحَةَ وَلْنَخْتِمْ بِهَا لِأَكْمَلِ الآخِذِينَ عَنِ اللَّهِ وَالمَحْبُوبِينَ عِنْدَ اللَّهِ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا وَحَبِيبِنَا وَقُرَّةِ أَعْيُنِنَا وَثَمَرَةِ فُؤَادِنَا، وَنُورِ قُلُوبِنَا وَسِرِّ عُقُولِنَا وَشَارِحِ صُدُورِنَا، سَيِّدِنَا وَسَيِّدِ كُلِّ مَنْ لَهُ سِيَادَةٌ فِي الوُجُودِ، أَبِي القَاسِمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ أَبِي الزَّهْرَاءِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ المَحْمُودِ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ مِنْ المَلِكِ المَعْبُودِ، زِيَادَةً فِي شَرَفِهِ وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِ وَعُمُومِ بَرَكَتِهِ، خُصُوصًا بِبَرَكَتِهِ الخَاصَّةِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَهْلِ طَرِيقَتِنَا، مِنْ مَشَارِقِ الأَرْضِ إِلَى مَغَارِبِهَا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا أَجْمَعِينَ).

وقد وردت أخبار كثيرة من العلماء في قراءة الفاتحة زيادة في شرفه، وعلى ذلك مشى كثير من العلماء في بعض الأقاليم في المساجد.

ثم اعلموا معاشر الإخوان ثبَّتَ اللَّه قدمي وقدمكم على الإحسان: أَنَّهُ أَخْبَرَنِي المُصْطَفَى أَنَّ مَنْ وَقَفَ عَلَى طَرِيقَتِي وَلَمْ يَتَمَسَّكْ بِهَا فَهُوَ مَحْرُومٌ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَا وَتَرَكَهَا يُخْشَى عَلَيْهِ سُوء الْخَاتِمَة. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ تَمَسَّك بِهَا وَتَرَكَهَا لَا تَظُنُّوا فِيهِ خَيْرًا، وَلَوْ رَأَيْتُمُوهُ طَائِرًا، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

(سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ).

وصَلَّى اللَّهُ على سَيِّدنا مُحمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسَلَّم، وثبَّتَ قدمنا على الحَقِّ إلى الأبد، آمين.

انتهى التعليق يوم الأربعاء في شهر ذي الحجة سبع وعشرين منه سنة ألف ومائتين وإحدى وثلاثين، وكان ابتداء تأليفه يوم الاثنين بعد صلاة الظهر في شهر ذي الحجة خمس وعشرين منه، فكان مُدَّة تأليفِه يومين.

انتهى[٩٩] تأليف السَّيِّد الكامل العامل قُطُب الزمان وغوث الأوان، مُربِّينا ومُرشدنا وقدوتنا إلى حضرة رَبّنا، سَيِّدنا ختم أهل العرفان، الشَّرِيف المَكِّي السَّيِّد مُحمَّد عثمان. اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِهِ واغفر لمَنْ نظَرَ فيه ودعَا، ولمن نسخه وسعى في نشره آمين. وصَلَّى اللَّهُ على سَيِّدنا مُحمَّد وآلِه وصحبِه وسَلِّم.

تنبيه:

قد وجدنا في بعض النُّسَخ زيادة بعد الفاتحة الأخيرة من الرَّاتِب، وهي مشهورة عند الإخوان، ويظهر أن الأُستاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زادَها على راتبه، وعلى كُلِّ حالٍ لا بأس بها فإنها زيادة خير، وهي هذه:

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللَّه ثَلَاثًا).

(اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الأَمِينِ، وَعَلَى سَائِرِ إِخْوَانِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسِلِينَ، وَعَلَى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمَلَكِ المَوْتِ، وَحَمَلَةِ العَرْشِ وَعَلَى المَلَائِكَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى الأَوْلِيَاءِ وَجَمِيعِ عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ، فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُكَ آمِينَ).

(٩٩) هذه الزيادة إلى آخر الكتاب من تحقيق الشيخ محمد عبد السلام أحد خلفاء الطريقة الختمية بجمهورية مصر ضمن الطبعة المطبوعة.

ثم تراقب مُطْرِقًا رأسك وتقُولُ: (الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّه ثَلاثًا، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا نَبِيَّ اللَّه ثَلَاثًا، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا حَبِيبَ اللَّه ثَلَاثًا، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا خَلِيلَ اللَّه ثَلَاثًا، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا صَفِيَّ اللَّه ثَلَاثًا، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَصَحْبِكَ وَالزَوْجَات).

ثم تقرأ آية الكُرْسِيّ وتُهْدِي ثَوابها لأهل القُبُور.

ثُمَّ تَقُولُ: صَرَفْتُ وَدَفَعْتُ السُّوءَ وَالْوَبَاء وَالْبَلَاء وَالْعَنَاء، الصَّاعِد مِنَ الأَرْضِ والنَّازِل مِنَ السَّمَاءِ، عَنِّي وعَنْ كُلّ مَنْ تَحْوِيهِ شَفَقتي، بألف ألف لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وبجَاهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكريم، وأسأله أن يجعلني بذلك من الشاكرين ثَلاثًا.

وتختم بكفارة المجلس: سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِلَيْكَ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ثَلَاثًا.

انتهى تحريره وتصحيحه على يد ملتزمه خادم السَّادة المِيرْغَنِيَّة، الراجي من اللَّه بجاههم وجاه جَدِّهم حسن الختام مُحمَّد عبد السَّلَام.